هدايات وألطاف
من سورة الأعراف

أكثر من ١٠٠٠ فائدة إيمانية وتربوية ودعوية
من سورة الأعراف

تأليف
حسين بن سعيد بن حسين الحسنية

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

للتواصل مع المؤلف

@h_alhasaneih

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً وبعد، فإنّ مما لا يخفى على أهل الإيمان أثر كتاب الله العظيم – القرآن الكريم – على قلوب عباده وأفئدتهم وجوارحهم وما ينطلق منها من قيم ومشاعر وأخلاق وسلوك وذلك فقط لمن تلا آياته بحق، وتدبر معانيها، واستفاد من مضامينها الغراء، وفوائدها الهادفة والمثمرة، فهو الهدى والنور والبصائر وفيه العدل والشفاء والبشائر، وهو منهاج المسلم ودستوره في حياته، وحافظه في دنياه، وشفيعه في آخرته، إذا اعتنى به فاز، وإذا حفظ تعاليمه نجا، وإذا اتخذه السبيل كان له الحجة والدليل.

ولقد أنعم الله تعالى عليَّ بأن أدرس سورة الأعراف، وأن أقف مع آياتها كثيراً، وأن أتدبر ما فيها من أوامر ونواهي ومواعظ وقصص وغير ذلك قدر الإمكان، وأن أسجّل ما استفدت من تلك الدراسة حتى خرجت ولله الحمد والمنّة بأكثر من ألف فائدة إيمانية وتربوية ودعوية أحسب أنها من الأهمية بمكان في أن تخرج في هذا الكتاب عسى أن تكون ذات أثر في نفس كل قارئ ومهتم.

وإني إذْ أشكر الله تعالى على أن يسّر لي هذا العمل وأعانني على إتمامه فإني أشكر بعد شكر الله شيخي المبارك وأستاذي الكريم فضيلة الشيخ الدكتور/ سعيد بن سعد آل حمّاد الشهراني، الذي كان له الفضل الأول بعد فضل الله تعالى في منحي فكرة هذا الكتاب ودعمه لي على مواصلة العمل فيه وتشجيعه لي بشكل مستمر والشكر موصول للأخوة الذين شاركوني مدارسة سورة الأعراف والذي أكسبني اللقاء المتكرر بهم أفكار عظيمة واقتراحات جميلة ودعم لا محدود في دارستنا لهذه السورة، سائلاً ربي عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا جميعـًا، وأن يتقبله منّي ومنهم، وأن يجعله شاهداً لنا يوم نلقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد.

حسين بن سعيد الحسنية

@h_alhasaneih

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

١. سورة الأعراف واحدةٌ من السبع السور الطوال.

٢. يبلغ عدد آياتها مائتيْن وستّ آياتٍ مكيةٌ ما عدا الآيات من ١٦٣ إلى ١٧١.

٣. تحتل الترتيب التاسع والثلاثين من حيث النزول إذ نزلت بعد سورة ص.

٤. تعتبر السورة السابعة في ترتيب المصحف العثماني.

٥. تقع ما بين الربع الأول إلى السادس من الأحزاب السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر من الجزء التاسع.

٦. سمّيت بالأعراف لذكر أصحاب الأعراف فيها، والأعراف سور بين الجنة والنار يقف فيه عباد الله الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم كما قيل.

٧. تعتبر السورة الأولى التي استعرضت قصص مجموعة من الأنبياء عليهم السلام بشيء من الإسهاب والتفصيل.

٨. تفتتح السورة آياتها بالحروف المقطعة ﴿ الٓمٓصٓ ﴾، وفيها سجدةٌ في الآية الأخيرة من السورة.

٩. من أهم مواضيع سورة الأعراف العامة مايلي:

* قصة الصراع بين الحق والباطل إلى قيام الساعة.
* أهمية التوحيد في حياة العبد المسلم.
* وجوب تدبر نعم الله تعالى على عباده.

* فضل عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
* بيان حال أهل الجنة وأهل النار وأصحاب الأعراف.
* سوء مآل الظالمين والمكذبين والمستكبرين.
* ما حصل من مواقف وأحداث في بعض قصص الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مع أقوامهم.
* بيان خطوات الشيطان وأثرها الخطير على عباد الله المؤمنين وكيفية التعامل معها شرعـًا.

❊❊❊

﴿ الٓمٓصٓ ١ ﴾.

١٠. هذه من الحروف المقطعة التي ابتدأت بها تسعـًا وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، وفيها ما يلي:

* بيان عظمة كلام الله تعالى.
* أنّ هذه الحروف المقطعة سر من أسرار الله تعالى لا يعلم به إلا هو جَلَّ وَعَلَا.
* وجوب الإيمان بها وقراءتها على النحو الذي نزلت به.
* بيان بلاغة ما فيها من حسن ابتداء السور بها.
* من الأولى السكوت عن معانيها كما هو صنيع السلف الصالح.

❊❊❊

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٢﴾.

١١. أنزل الله تعالى كتابه القرآن الكريم على نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بواسطة جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهو كلامه جَلَّ وَعَلَا، وهو المعجزة العظيمة التي تحدّى بها العرب وهم القوم الذين أنزل الله القرآن الكريم عليهم؟

١٢. قال تعالى في شأن القرآن الكريم: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[1] وقد زكّاه الله فقال عنه: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٤٢﴾[2]، فهو المنهج والدستور، وفيه الهداية والنور، وكذلك الحجج والبراهين والأدلة، من تمسّك به أفلح وفاز، ومن أعرض عنه خاب وخسر.

١٣. ما من عبدٍ تحدّى الله جَلَّ وَعَلَا أو قابله بالنديّة أو المساواة، أو جعل له شريك في ملكه إلّا كان الخذلان حليفة والخسران نصيبه، ومن أولئك الذين ادّعوا أن القرآن الكريم إنما هو أساطير الأولين اكتتبها محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهي تُملى عليه، ومنهم أيضاً الذين ادّعوا أن الله ينزّل عليهم الوحي من السماء مثل ما ينزل على محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد ذهبوا إلى سوء المصير وذهب ما جاءوا به إلى عالم النسيان، وبقي القرآن الكريم الذي تكفّل الله بحفظه إلى يوم القيامة.

١٤. من المؤلم أن تجد من أبناء الأمة من يقضي الوقت الطويل ويعطي من حرصه وجهده الكثير في قراءة رواية سطحية أو قصة رعب أو مقال مليء بالكذب والافتراءات أو كتاب مؤلفه يهودي أو نصراني وكتاب الله – القرآن الكريم – بجانبه لم يعطه ولو جزءاً يسيراً من وقته.

---

(١) [سورة البقرة: آية ٢].

(٢) [سورة فصلت: آية ٤٢].

١٥. أنزل الله تعالى القرآن الكريم على محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليكون له منهجاً وطريقاً في حياته كلها، وبالأخص في الدعوة إلى الله، فلا تتحرج مما فيه يا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الأوامر والنواهي أو مما فيه من الوعد والوعيد، وكل من يدعو إلى الله عليه أن يجعل القرآن الكريم له منهجاً وطريقاً وأن لا يكون في صدره حرج مما فيه .

١٦. على المربي والداعية وهما يقومان بوظيفة تربية الأمة أن يثقا في المنهج الذي يدعوان إليه ثقة تامة، وأن لا يخالط صدريهما ريبة ولا شك فيه، فذلك يمنحهما ثقة في أداء الوظيفة بشكل متقن، ويجعلهما أكثر حضوراً وتأثيراً، وأعمق في التعليم والتربية.

١٧. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأمر محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن لا يكون في صدره حرج أو شك أو خوف أو تردد أو غير ذلك، فهو يبث في صدره الأمان وينشر فيه الطمأنينة، ويدلّه على الصبر لأنه يسلك الطريق القويم والمنهج المستقيم.

١٨. تعرض محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في طريق التبليغ والدعوة إلى آلام متعددة ومضايقات كثيرة وحرب شعواء من أعداء كثر، لكن من أبرز تلك الآلام والتي يغفل عنها الكثير هو الألم النفسي أو العذاب الروحي أو ضيق الصدر، وهو لا يقل عن الألم العضوي أو العذاب الجسدي بل قد يكون أعظم منه في بعض الأحيان، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ... ﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2]، وقد أمره ربه جَلَّ وَعَلَا بأن لا يحزن وهو يرى الكافرين يسارعون في الكفر قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ

(١) [سورة هود: آية ١٢].

(٢) [سورة الحجر: آية ٩٧].

﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ...﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾[3].

١٩. وكذلك الأنبياء والرسل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد تعرضوا للضيق النفسي والألم الروحي والعذاب الوجداني من هموم وغموم وحزن وخوف وغيرها لما واجهوه من تكذيب وكفر وعناد واستهزاء وسخرية ومعاملات سيئة من قبل أقوامهم.

٢٠. ومن نماذج الأنبياء مثلاً، فقد وصل الأمر عند نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن دعا على قومه بعد أن استمر فيهم داعية ألف سنة إلا خمسين عاماً فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[4] وقال له ربه تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[5] وعن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ...﴾[6] الآية، وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ...﴾[7] الآية، وقال: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[8] الآية، ومنهم من تألم بسبب فقد ولده كيعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومنهم من أقعده مرضه كأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولاشك أن مثل هذه الابتلاءات تبعث شيئاً من

(١) [سورة المائدة: آية ٤١].
(٢) [سورة الأنعام: آية ٣٣].
(٣) [سورة يونس: آية ٦٤].
(٤) [سورة نوح: آية ٢٦].
(٥) [سورة هود: آية ٣٦].
(٦) [سورة الأعراف: آية ١٥٠].
(٧) [سورة الأعراف: آية ١٥٤].
(٨) [سورة طه: آية ٦٧].

الحزن والألم في النفوس.

٢١. ومن سلك طريق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ دين الله والدعوة إليه فسيناله من الابتلاءات الشيء الكثير والمتكرر وكلما كان أكثر صدقًا وعملاً ودعوة كان أكثر ابتلاءً ومحنة .

٢٢. لقد شرح الله صدر نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وامتن بذلك عليه فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾[1]، وانشراح الصدر يكون بعد الألم والحزن والضيق.

٢٣. مما يتعرض له الدعاة إلى الله في طريقهم إساءة الظن بهم أو تحذير الناس منهم أو تخويفهم منهم أو عدم الثقة بهم أو رميهم بالتهم وغيرها، هنا وإن حصل في صدر الداعية شيء من الضيق والحزن فلابد من الصبر والاحتساب.

٢٤. للقرآن الكريم أساليب عدّة وطرائق مختلفة في خطابه للجميع ومن تلك الأساليب والطرائق أسلوب الإنذار للكافرين وقد يكون للكافرين والمؤمنين والمنافقين على حد سواء، والإنذار يكون من العذاب أو النار أو سوء المآل أو غيرها مما يخافها العبد ويخشى أن يقع فيها، ومن الأساليب أيضًا أسلوب التذكير وهو للغافلين أو الجاهلين من المؤمنين.

٢٥. من خصائص القرآن الكريم أنه يسير على مبدأ التوازن في خطاب مشترك للمؤمنين والكافرين، ففيه بيان حال للمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، وبيان لنعيم المؤمن وجحيم الكافر، وإيضاح لطريق الجنة وطريق النار، وتبشير وتحذير، وإنذار وتذكير، ووعد ووعيد، وهذا من عدل الله تعالى الذي لا يظلم عنده أحد .

---

(١) [سورة الشرح: آية ١].

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾.

٢٦. سورة الأعراف تحكي قصة الصراع بين الحق والباطل منذ أن خلق الله آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وإلى أن تقوم الساعة، لذا فإن العبد - أيّاً كان - جزء لا يتجزأ من هذه القصة، وعليه أن يختار طريقه ومنهجه وقدوته .

٢٧. ليس للعبد مناص عن الإتباع فهو إما أن يكون متّبعاً لله غير متّبعٍ لغيره وهؤلاء هم أهل التوحيد والإيمان، أو يكون متّبعاً لغير الله غير متبّع له جَلَّ وَعَلَا وهؤلاء هم أهل الكفر والنفاق، أو يكون متبعاً لله ومتّبعاً لغيره تعالى في وقت واحد كبعض الفرق المنحرفة كالرافضة وغيرهم.

٢٨. أمر الله تعالى عباده باتباع ما أنزل إليهم من ربهم والتمسّك به، ففي ذلك الاتباع الفوز بالجنة والنجاة من النار، والسعادة في الدنيا والآخرة، وفي المقابل أيّ اتباع آخر سواءً كان لإله أو كتاب أو قدوة أو غيرها فمآله الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة والعياذ بالله.

٢٩. من حقوق الأتباع على القدوة أو على المنهج أن يعرفوا مآلات الاتّباع أو عدم الاتّباع، فهذا أدعى للعدل وإقامة الحجة وإتاحة الفرصة للجميع.

٣٠. من مميزات المنهج الذي من عند الله أنه واحد لا يتعدّد، وواضح ليس فيه دخن أو لبس، ويدعو إلى كل فضيلة وحق وهدى، وهذه الأمور تبعث في نفس العبد الطمأنينة والراحة تجاه المنهج الذي يؤمن به.

٣١. قد يكون العبد داخلاً في عداد المسلمين ولكنه متّبع لغير الله فهو إمّا منجرف نحو شهوة أو متعلق بشبهة أو متأثر بقدوة فاجرة كافرة أو مشغول بدنيا أو مال أو ولد أخذته عن طاعة ربه واتباع أمره.

٣٢. من أولى الأوليات وأهم الأمور في تربية النشء تعريفهم بالله جَلَّ وَعَلَا ودعوتهم دائماً إلى عبادته وطاعته ومراقبته واتباع ما أنزل في كتابه وفي سنة نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وتحقيق مبدأ الولاء الحقيقي له والبراءة من كل معبود من دونه.

٣٣. من ولاية العبد لله تعالى محبته وطاعته والتزام أمره ودوام ذكره وتدبّر آياته القرآنية والكونية والدعوة لدينة وكتابه وسنة نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والاستعانة به والالتجاء إليه والتوكل عليه في جميع القضايا والأمور.

٣٤. قليلاً ما يتذكّر العبد، فهو إمّا في شغل أو غفلة لذا جاءت آيات القرآن الكريم لتذكره بالحال والمآل، وهناك أيضاً من الأقدار التي تذكّر العبد بربه كالفقر والعوز والمرض وغيرها، ومن نعمة الله على بعض عباده أنهم في علاقة دائمة مع الله لا يغفلون عنه إلا قليلا فأولئك هم أهل الله وخاصته.

❋❋❋

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾.

٣٥. من نتائج اتباع غير الله والإعراض عنه وقوع الهلاك والعذاب، ومن العذاب ما يكون على مستوى المجتمع أو القرية أو المدينة أو الوطن أو الأمة، وهذا مما لابد أن يذاع في الناس ويعلن لهم لكي ينهجوا الاتباع الحق والمنهج القويم.

٣٦. من سنن الله تعالى أن العذاب والهلاك قد ينزل فجأة وفي أوقات مختلفة وأحايين متفاوتة كالصبح ووقت القيلولة ووقت النوم وغيرها كما ورد في مواضع من القرآن الكريم، وهنا يجب الحذر من عذاب الله في كل وقت وحين.

٣٧. صور العذاب كثيرة ومتعددة، الهدف منها بيان قدرة الله تعالى وأن يرى

أصحاب الكفر والعناد والتكذيب ما أعدّ الله لهم وأن يحذر آخرون أن يصيبهم مثل ما أصاب غيرهم، وهناك من العذاب أيضاً الهموم التي تتعب النفس، والأمراض التي تجهد الجسد، والفتن التي تثقل الكاهل، ومنها ما يكون على مستوى الفرد، ومنها على مستوى الأسرة، ومنها على مستوى المجتمع، ومنها على مستوى الأمة، ولا يرفع العذاب إلا التوبة والأوبة إلى الله تعالى .

٣٨. من أهم أسباب هلاك الأمم الظلم، ومن أنواع الظلم ظلم الإنسان لنفسه بتركها تسبح في مستنقعات المعاصي والمفاسد والمنكرات، وظلمه لوالديه بعقوقه لهما وعدم البر بهما وعدم الإحسان إليهما وظلمه لزوجه وذريته بالانشغال عنهم وعدم تربيتهم التربية الصحيحة وظلمه لأرحامه بقطيعته لهم، وظلمه لجيرانه بالإساءة لهم وظلمه لأمته بعدم دعوتهم إلى الحق وإرشادهم للهدى.

٣٩. لم يحدد الله اسم القرية أو مكانها بل قال: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ﴾ وهذا يجعل المؤمن يتنبّه إلى هذا الأمر فهو أمر يدعو إلى الخوف والقلق إذ لا أحد مُستثنى من عذاب الله متى ما حاد وانحرف عن الطريق القويم والمنهج المستقيم سواء كان شخصاً أو أسرة أو مجتمعاً أو أمة .

❋❋❋

﴿ فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥ ﴾.

٤٠. من عادة أهل الكفر والعناد أنهم يعترفون بذنوبهم حال وقوعهم في العذاب ولكنه اعتراف متأخر ولا يفيدهم بشيء.

٤١. على العبد المؤمن أن لا يكون عرضة لعذاب الله وهلاكه حتى إذا ندم وتاب بعد حصول العذاب عليه رُدّ وطُرد.

❋❋❋

﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾.

٤٢. سيسأل الله كل أحد من عباده عن كل شيء، سواء في القبر أو في يوم الموقف، فلن يخرج من دائرة السؤال أحد حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهذا – والله – مما يُخيف العبد المؤمن ويُقلق هاجسه ويسهر عينيه حينما يتذكر أنه سيسأل من عند ربه، فهو يعدّ للسؤال جواباً .

❋❋❋

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

٤٣. في يوم القيامة سيعطي الله لمن شاء من عباده مجالاً للحديث والاعتراف والإجابة والحوار، وسيبدي كل عبد ما عنده من أدلة وبراهين وحجج، وسيعلم كل إنسان ما اقترفه من شر في دنياه وما عمل من خير، وسيرى صحائفه وكتبه وبطاقاته، وسيقصّ الله عليه بعلمه جَلَّ وَعَلَا ما فعل وقال في دنياه، وهناك من العباد من سيختم الله على فمه وتشهد عليه جوارحه، وكل ذلك من عدل الله تعالى، وفيه بيان بأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

❋❋❋

﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

٤٤. يجب الإيمان بالميزان الذي أعده الله لوزن الأعمال يوم القيامة وإن

لم نعلم ماهيّته وحجمه وطريقة قياسه، كما أننا لا نعلم كيف ستكون الحسنات والسيئات وكيف ستؤثر على كفتي الميزان، كل تلك من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها.

٤٥. بيّن الله تعالى حال أهل الحق والفلاح وهم الذين ثقّل الله موازينهم يوم القيامة وحال أهل الباطل والخسران وهم الذين خفّف الله موازينهم يوم القيامة، وهكذا القرآن الكريم في بيانه لحال الفريقين.

٤٦. لقد بيّن الله تعالى سبب خسارة الذين خفّف الله موازينهم أنهم كانوا بآياته يظلمون، وهذا فيه زيادة في فضح الكفار والمنافقين وبيان سوء حالهم ومآلهم والعياذ بالله .

٤٧. حصرت كلمة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ بـ(أل) لكونه الحق المحض الذي لا باطل فيه، وكذلك هو يوم القيامة فلا شر ولا ظلم ولا باطل ولا كذب ولا زور ولا نفاق ولا غش فيه نهائياً وهذا من عدل الله تعالى لعباده .

٤٨. الفلاح نتيجة حتميّة لأولئك الذين ثقّل الله موازينهم بأعمالهم الصالحة وعباداتهم وطاعتهم لله وقربهم منه، والفلاح الحقيقي هو نيل رضى الله وليس بعد رضاه إلا الجنة ،نسأل الله من فضله.

٤٩. وجوب الاستعداد ليوم القيامة فهو يوم تقام فيه المحكمة وتنصب فيه الموازين ويحضّر فيه الشهود وتجهّز فيه الأدلة والحجج والبراهين.

❋❋❋

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾.

٥٠. خسارة النفس تكون بظلم صاحبها لها، وقد تكون خسارتها بخفة موازينها

على الميزان، وقد تكون الخسارة أن حكم الله عليها بالنار، وجميعها مؤلمة على النفس وتبعث فيها الحسرة والندم يوم لا ندم ينفع ولا حسرة.

٥١. أعظم ما يملك الإنسان نفسه، لذا فإنّه يأتي يوم القيامة وهو يقول نفسي نفسي.

٥٢. قد يكون الظلم لآيات الله الشرعية والكونية بالكفر بها وجحودها والاستهزاء بخالقها والسخرية بمن دعا إلى تدبّرها والتأمل فيها.

٥٣. على المؤمن أن يسعى في تثقيل موازينه عند ربه بالأعمال الصالحة ومن أعظمها وأجلّها ذكر الله تعالى، وهنا إشارة إلى أن المؤمن يستطيع أن يثقّل موازينة بالأعمال الصالحة الخفيفة وهذا من فضل الله تعالى على عباده .

٥٤. عاقبة الظلم الخسارة في الدارين، والحكمة من ذلك أن الظالم يسعى للانتصار والفوز على الآخرين بطرق إجرامية وتعاملات قصريّة الهدف منها إثبات الوجود والحديث بلغة الأنا فيعامله الله بنقيض قصده وهو أن يخسر في الدارين .

❊❊❊

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

٥٥. الله يمتنّ بما يشاء من نعمه على عباده فهو المنعم جَلَّ وَعَلَا، وهو الرزّاق ذو القوة المتين يرزق من يشاء بغير حساب، وهذا الامتنان منه جَلَّ وَعَلَا ليذكّر عباده بربهم فيعودون إليه بالطاعة والعبادة والشكر..

٥٦. من نعم الله تعالى على عباده أن مكّنهم في الأرض وسخرها لهم وذلّلها

لمشيهم وسعيهم، فمن بطنها يأكلون ويشربون وعلى ظهرها يروحون ويسرحون ومن هوائها يشهقون ويزفرون.

٥٧. للتمكين في الأرض أسباب مهمة متى ما عمل بها المجتمع المسلم جماعات ووحدانا حصل التمكين ومنها ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1].

٥٨. علاقة الإنسان بالأرض علاقة وطيدة فهي إما شاهدة له أو عليه يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾[2]، وهي تعد مسرح مشاريعه وإنجازاته سواءُ كانت في الخير أو الشر، ومن هنا فعليه أن يسخرها في كل ما يرضي الله وأن يمشي من خلالها إلى كل بر وهدى، وأن لا تكون له سبيلاً للحرام والمعاصي والفساد.

٥٩. الله تعالى يدعو خلقه لعبادة جليلة وعظيمة وهي عبادة التدبّر في آياته القرآنية والكونية، ومن فوائد عبادة التدبّر:

* معرفة الله جَلَّ وَعَلَا.
* زيادة الإيمان.
* الاستجابة لأمر الله ورسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.
* التعرف على نعم الله تعالى.
* تذكير المؤمن بأصل خلقه ومآل أمره.
* الثبات على دين الله.

(١) [سورة الحج: آية ٤١].
(٢) [سورة الزلزلة: الآيات ٤-٥]

٦٠. المعايش التي يمتنّ الله بها علينا متنوعة ومختلفة فمنها المأكل والمشرب والمركب والمسكن والملبس وغيرها، وكل منها له أيضاً أشكال مختلفة وأنواع متعددة وصور متفاوتة.

٦١. علاقة كثير من العباد مع نعم الله تعالى عليهم الجحود والكفران وقليل منهم الشكور، لذا فشكر الله تعالى عبادة عظيمة يجب على المؤمن الإتيان بها اعتقاداً بقلبه وقولاً بلسانه وعملاً بجوارحه وأركانه .

❋❋❋

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

٦٢. الخلق هو الإيجاد من العدم فقد خلق الله آدم من تراب ممزوج بماء حتى صار طيناً لازباً، ثم جاء بعد الخلق التصوير في تقسيم الجوارح والأركان وتوزيع الأوردة والشرايين وتكوين العظام والمفاصل والفقرات والعضلات والمشاعر وجاءت كلها بعد أن نفخ الله فيه الروح .

٦٣. ذكر الله مرحلة الخلق والتصوير زيادة في امتنان الله تعالى على عباده، ولكي يعلم العبد ما أنعم الله به عليه، وفي ذلك أيضاً بيان لقدرة الله تعالى في الخلق والتصوير، وأن العبد منذ أن خلقه الله وهو يمر بمراحل متعددة ومواطن مختلفة.

٦٤. ذكر الله تعالى التصوير في خلقه للإنسان عن باقي المخلوقات وقد يكون ذلك اصطفاء من الله للإنسان عن بقية مخلوقاته أو فيه زيادة تكريم للإنسان أو لكونه أجملها .

٦٥. هناك من يدعي أن الذي خلق الخلق هي الطبيعة أو أنهم خلقوا من

أنفسهم ومثل هذه الادعاءات لا يقبلها عقل ولا رأي، مع أن الله تعالى قد أنزل في كتابه العظيم ما يرد ادعاءاتهم تلك مثل هذه الآية .

٦٦. سجود الملائكة لآدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ امتحان لهم وتكريم من الله له ولذريته .

٦٧. من أعظم جنود الله (الملائكة) هم أقرب مخلوقاته إليه وأعظمهم عنده، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٦٨. أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم لأمور:

* بيان عظمته وقدرته سبحانه في الخلق والتصوير .
* تكريم آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وذريته .
* بيان عِظم خلق الإنسان .
* فيه ابتلاء واختبار للملائكة .
* لكي يظهر إبليس في صورته الحقيقية .

٦٩. الملائكة حينما جاءهم الأمر من عند ربهم في قوله تعالى ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ امتثلوا مباشرة دون سؤال أو مناقشة، فإذا جاء الأمر من عند الله تعالى فأطع دون جدال أو مناقشة أو تأخر أو تسويف أو بحث عن الحكمة أو تفكير في المآلات أو غيرها.

٧٠. من الحرمان أن يسبق اسمك حرف استثناء في عمل طاعة أو بذل معروف أو نشر حق، ألم ترى إلى إبليس الذي دُعيَ إلى السجود لآدم مع الملائكة من قبل ربه فسجد الجميع ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ١١﴾.

❊❊❊

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

٧١. لك أن تتخيل المشهد، الملائكة جميعهم سجّداً لآدم بأمر الله تعالى إلا إبليس لم يمنعه من السجود إلا الكبر والتعالي والفوقية التي كان يتمثل بها والحسد الذي كان يملأ قلبه.

٧٢. ليس هناك أقبح من أن يدّعي الشخص (الأنا) في أمر منكر أو خلق ذميم أو عادة سيئة أو تكبّر على الغير، فقد قال إبليس حينما سئل عن سبب عدم سجوده لآدم: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

٧٣. من تكبّر إبليس وجحود وعِظَم تمرده وعصيانه أن يفخر بشيء لم يصنعه أو يفعله، فقد افتخر بأنه مخلوق من النار علماً أن الذي خلقه هو الله .

٧٤. الحديث عن النفس على سبيل الاصطفاء أو التميز أو المدح لا يجوز، لأن فيه تزكية للنفس والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[1] وقد يذهب بصاحبه إلى العجب والكبر، وقد يأنفه الناس ويكرهونه بسبب هذا الأمر، وأيضاً فإن الباعث إلى ذلك قد يكون معظمه من الحسد والأنانية وحب الذات.

٧٥. من أول الذنوب التي عُصِيَ بها الله الحسد والكبر والحرص المذموم وجميعها حملها إبليس في نفسه على آدم .

٧٦. خلق الله إبليس من النار وخلق آدم من الطين، وهناك فروق بين الطين والنار:

* الطين بارد والنار حارة .

(١) [سورة النجم: آية ٣٢].

* الطين يبني والنار تحرق .
* الطين يجمّع والنار تفرّق .
* الطين يبقى والنار تفنى .
* الطين يعطي والنار تسلب .
* الطين يمسح والنار تلفح .
* الطين خامة والنار طامة .
* الطين ناعم والنار مؤذية .
* الطين صديق الماء والنار عدوة الماء .

٧٧. قد يكون الباطل أو الكبر أو المعصية خيراً عند البعض، أو قد يمدح أحدهم نفسه بالخيرية على ما يحمل من تلك الصفات الشيطانية، وهنا فلا غرابة أن ترى من يدافع عن الباطل أو الشر بضراوة لأنه يعتبره حق وخير في نظره.

❊❊❊

﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

٧٨. من نتائج معصية إبليس لربه:

* أهبطه من الجنة .
* حرمه ما فيها من النعيم .
* نعته بالكبر .
* أخرجه من الجنة .
* حكم عليه بالصغار .

٧٩. مما يدل على تكبّر إبليس ووقوع الشر والحسد في قلبه دخوله في حوار مع الله جَلَّوَعَلَا .

٨٠. من حلم الله تعالى أن ترك لإبليس مساحة للحديث والحوار والمناقشة .

٨١. لمّا أراد الله توبيخ إبليس على معصيته أهبطه الله من الجنة، وسواء كانت الجنة هي الجنة الحقيقية أو السماء أو مكان مكرّم مرتفع إلا أنها جميعها تحكي معنى التوبيخ والإهانة .

٨٢. تعامل إبليس مع الله جَلَّوَعَلَا بالكبر والفوقية والتعالي فعاقبه الله بنقيض قصده أن أهبطه وجعله من الصاغرين.

٨٣. أهبط الله إبليس إلى الأرض لتكون موطناً جديداً للصراع بين الحق والباطل.

❊❊❊

﴿ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ ﴾.

٨٤. يدل طلب إبليس الإنظار من ربه على ما يلي:

- إيمانه بأن الله هو المحيي والمميت وأنه يبعث من في القبور .
- أنه ينوي على فعل شيء في وقت الإنظار وقد صرّح بذلك آنفاً .
- أن الله سيحكم لإبليس بالحياة حتى قيام الساعة .
- أنه سيكون قدوة لأهل الباطل والشر والفساد في كل زمان ومكان .
- أن قصة الصراع بين الحق والباطل ستكون في الدنيا أما الآخرة فلا باطل البتّة.
- أن العبد لابد من أن يتخذ قراره المصيري المهم وهو من أي فئة سيكون وإلى أي فريق سينضم من أهل الحق أو من أهل الباطل .

﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾.

٨٥. لقد استجاب الله لدعاء إبليس وهو العبد العاصي الحاسد المتكبر سيء الأدب مع الله أفلا يستجيب الله لعبده المؤمن الصالح الصادق.

❋❋❋

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾.

٨٦. ظهر في الآيات السبب الحقيقي الذي جعل إبليس يسأل الله المهلة والإنظار وهو حرصه على غواية بني آدم وسوقهم إلى طريقه ومنهجه بأساليب متعددة وطرق مختلفة، وهذا يشير إلى ما يحمله قلبه من حسد وحقد على آدم وذريته، وفيه أيضاً سوء أدب مع الله حين يسأله المهلة ثم يستغلها في غواية عباد الله وهذا يدل على حقارته وخسّته .

٨٧. من أساليب إبليس مع ربه في هذا الحوار أسلوب التهديد والتحدّي حين قال ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وهذا يدل أيضاً على عدم استشعاره لعظمة ربه ومكانته وجلالة قدره .

٨٨. ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ لعل المعنى بما أمهلتني وجعلت لي فرصة القعود لعبادك وإتيانهم، أو بما جعلتني نداً لآدم هنا فسأكون نداً لذريته حتى قيام الساعة، أو قد يكون بما حكمت علي من حال ومآل وهما الشقاء في الدنيا والآخرة فسأسعى لأن أسوق عبادك إلى هذا الطريق، أو بما جعلتني غاوٍ وأسعى لغواية عبادك لتبتلي عبادك وتختبرهم عن طريقي فمن آمن بك فاز ونجا ومن آمن بي فقد خاب وخسر .

٨٩. قعود الشيطان للعباد من أجل إغواءهم يعتبر خطوة من خطواته الكثيرة

والتي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، وهي التي تسبق خطوة الإيتاء والتي ذكرت في الآية اللاحقة، وفي هذا دليل على قدرة إبليس في استخدامه لأساليب متعددة في بث الشر لبني آدم .

٩٠. قعود إبليس للعباد على الطريق قد يكون بالكلمة المقنعة أو الأسلوب المؤثر أو الصورة الخادعة أو التعبير المزيّف ...الخ، وقد تؤثر هذه الأمور على العبد ويدرك إبليس هذا الأمر فيهمّ بالإتيان بعد ذلك، وهناك من عباد الله من لا تؤثر فيه فينجيه الله من إتيان إبليس والهجوم عليه.

٩١. يجب على المؤمن أن يكون على حذر دائم ويقظة مستمرة من إبليس وخطواته.

٩٢. إبليس يتعامل مع الذكر والأنثى ومع الفرد والجماعة ومع الحزب والأمة، وقد أعطاه الله القدرة على ذلك وسخّر له الأتباع والأولياء، وعلّمه طرق التعامل وأساليب التواصل، فهو يخاطب الفكرة، ويحرك الشهوة، ويبثّ الشبهة، ويزيّن الشر، ويشيّن الخير، ويسوّد الأبيض، ويبيّض الأسود، ويقود الجموع، ويؤم الناس ،، نعوذ بالله منه .

٩٣. على الآباء والمربين والدعاة والأئمة من خلال دعوتهم ومواعظهم وكتاباتهم وخطبهم تعريف الناس بعدوهم الأول والأخطر وهو الشيطان الرجيم.

٩٤. من أعظم ما يعرّي الشيطان للناس ويعرفهم لخطواته وخبثه – القرآن الكريم –.

٩٥. كل من ناصب الله ورسله وكتبه وعباده الصالحين العداء إنما هو من أتباع إبليس تمثلوا بصورته وحاكوا شخصيته وقلدوا طريقته وآمنوه بفكرته وعملوا بخطواته.

٩٦. اعترف إبليس بأن طريق الحق واحد وهو الصراط المستقيم وهو الطريق

إلى الله، طريق الحق، وليس هناك طريق للحق غيره، وقد التزم أن يقعد لبني آدم على هذا الطريق .

٩٧. من أعظم وأجلّ نعم الله تعالى على عبده نعمة الهداية على الصراط المستقيم، لذا فإن العبد في سؤال دائم لربه لهذه النعمة العظيمة فهو يسأله إياها في اليوم سبع عشرة مرة في صلاته المفروضة وذلك في قول الله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[1]، لذلك اتخذه مكانًا للقعود والترصد لإغواء بني آدم وإضلالهم .

٩٨. الطريق إلى الله ليس سهل الورود وليس مفروشًا بالورود ولم لم يكن عليه إلا قعود إبليس عليه لكفى، لذا فالسير عليه عزيز والمحافظة على البقاء فيه عظيمة، والثبات على ذلك كله يحتاج إلى ثبات .

٩٩. سخّر إبليس كل إمكاناته وشهواته وشبهاته وتلابيسه ونفثاته وخطواته على ذلكم الصراط لغواية بني آدم والتنكّب بهم عنه .

❊❊❊

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ۝١٧ ﴾.

١٠٠. خطوة إتيان الشيطان لبني آدم تأتي بعد خطوة القعود لهم على الصراط المستقيم، والإتيان يعني الوصول، والشيطان لا يصل إلا لمن اغتر به وتأثر من أسلوبه وانخدع من طريقته ولم يعمل على مواجهته وحربه .

١٠١. الشيطان يأتي من بين يدي العبد أي من أمامه سواء من جهة العين كالنظر إلى الحرام أو البطن كأكل أموال اليتامى أو المال الحرام أو الفرج كفعل

(١) [سورة الفاتحة: آية ٦].

الفاحشة ويأتي أيضاً من خلفه فيدفعه للباطل والفساد ويأتي من جهة يمينه فيضرب باليد اليمنى ويسرق بها وكذلك بالنسبة لجهة الشمال وهذا يدل على خطورته وتنوّع بأسه وشره .

١٠٢. من آثار طاعة إبليس واتباع منهجه على العبد أنه يجعله كافراً وجاحداً بأنعم الله غير شاكر له على تلك النعم.

١٠٣. من دلائل طاعة العبد لربه ذكره له على الدوام وشكره له على نعمه المتتالية.

١٠٤. شكر الله تعالى وسيلة من وسائل الثبات على دين الله .

١٠٥. الله تعالى ينعم على العبد بأنعمه الكثيرة ويتفضل عليه بالأفضال العظيمة فيعرّضه للابتلاء والاختبار أيشكر أم يكفر؟.

❊❊❊

﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾.

١٠٦. بيّن الله تعالى نتيجة مآل إبليس بعد أن أساء الأدب مع ربه وتمرد مع الذي خلقه واستخدم أساليبه الرخيصة في الحديث معه وذلك أن أخرجه من الجنة .

١٠٧. على كل من يتخذ إبليس له قدوة أن يتّعظ ويحذر من وعيد الله تعالى فقد يذيقه الله ما أذاق قدوته من المآلات التي حكم الله عليه بها في القرآن الكريم كإخراجه من الجنة وحرمانه من نعيمها والصغار واللعنة وغيرها علّ ذلك يدعوهم لعصيانه والبراءة منه .

١٠٨. اتّباع إبليس قد يكون بالكلمة أو بالفعل أو المشاعر أو بالتأييد اللفظي وغير اللفظي أو بالظنون وغيرها، وكل أولئك ينالهم ما يناله إبليس من العذاب والخزي، وستمتلئ النار بهم والعياذ بالله .

١٠٩. في الآية بيان لقدرة الله تعالى في امتلاكه لأمر إبليس ومن تبعه، فمع أنه أعطاهم المهلة وتركهم يقومون بالإفساد والغواية لعباده إلا أن مآلهم النار وسوء المصير .

❊❊❊

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩﴾.

١١٠. إبليس يعصي الله بسبب تكبره على آدم وشعوره بالفوقية عليه ويحاوره من أجل هذا السبب وتتضح نتيجة ذلك الحوار فينتقل الحديث مع الطرف الثاني في الموقف وهو آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

١١١. الله ينادي آدم باسمه وهذا نوع آخر من أنواع التكريم .

١١٢. آدم وإبليس طرفا قضية ومن عدل الله تعالى أن يعطي كل منهما حقه في الحوار والتوجيه والإمهال.

١١٣. من فضائل آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :

- ❊ خَلَقَهُ الله بيده
- ❊ نفخ فيه من روحه
- ❊ أنه أب البشر جميعهم
- ❊ اسكنه الله وزوجه الجنة
- ❊ أمرهما أن يأكلا منها حيث شاءا .
- ❊ أمر الملائكة أن تسجد له سجود تكريم لا عبادة .

١١٤. فرق بين من يقال له ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[١] ومن يقال له ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾[٢].

١١٥. الزواج مشروع مقدّس، بدأ من الجنة بين آدم وحواء عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ.

١١٦. من الملاحظ أن حواء لم يكن لها نصيب في الحوار مع الله تعالى، وهذا يدل على تبعيّة الزوجة لزوجها، خاصة في القرارات المفصلية ووجوب ذلك في الشرع.

١١٧. القوامة في الإسلام للرجل إذ أنّه أكثر إدراكًا للأمور وأكثر معرفة بالتبعات، وعنده القدرة على ضبط مشاعره واتخاذ قراراته على الوجه الصحيح غالبًا .

١١٨. صلاح الأب أو الزوج صلاح للذرية ولأهل البيت جميعهم، وهنا حواء تتمتع بما يتمتع به زوجها آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من نعيم الجنة ومما فيه من أكل وشرب .

١١٩. أمر الله آدم وحواء عليهما السلام بالسكن في الجنة، والسكن من أعظم ثمرات مشروع الزواج المقدس لأمور:

- أن السكن معناه الإحاطة من كل مكان .
- قد يكون معناه الزوجة الصالحة .
- أن فيه الطمأنينة والأمن والاستقرار.
- أنه وسيلة لحصول التناغم الأسري والاتصال العاطفي .
- أنه وسيلة لبناء المشاريع الأسرية والبرامج التربوية داخل البيت.

١٢٠. أن من أهم أهداف الشيطان والتي يريد لها الغواية والفساد المساكن، والتفريق بين الزوجين، وتأليب القلوب بعضها على بعض ليكون مسكنًا

(١) [سورة الأعراف: آية ١٨].

(٢) [سورة الأعراف: آية ١٩].

متفككًا مضطربـًا هشّـًا آيلاً للسقوط والدمار في أي لحظة .

١٢١. كل هدم نراه أو نلمسه أو نشعر به سواء كان هدمـًا حقيقيـًا أو معنويـًا أو كان قولاً أو عملاً أو مشاعراً أو كان منّا أو من غيرنا في بيوتنا إنما سببه الأول ومنطلقه الرئيس هو الشيطان الرجيم.

١٢٢. في الآية ما يدل على فضل المرأة الصالحة .

١٢٣. الزوجة ومن أجل تبعيتها للزوج تكون متأثرة به سلبـًا أو إيجابـًا، بل قد تكون معينة له في الخير أو الشر.

١٢٤. السكن في الجنة ليست النعمة الوحيدة التي أنعم الله بها على آدم وزوجه، بل أنعم عليهم بنعمة النكاح، ونعمة الأكل من الجنة حيث شاءا، وأنعم عليهما بنعمة اللباس الذي يستر سؤاتهما وغيرها .

١٢٥. حذر الله جَلَّ وَعَلَا آدم وحواء من القرب من الشجرة وليس من الأكل منها لأمور:

* لخطورة الأمر، وهذا يدل على تحذيره لهما من مجرد القرب منها .
* لكونه حددها لهم فقال ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾.
* لكونها قد تكون لهما فتنة وابتلاء .
* قد يكون لها منظراً أو رائحةً أو طعمـًا متميزاً فتكون أدعى للإغراء .
* لأن القرب من المعاصي طريق للوقوع فيها .
* لأن في أكلهما للشجرة طريق للتعرّي .
* لأن في أكلهما للشجرة حصول للظلم .

١٢٦. من أعظم ما يقترفه الإنسان على نفسه هو ظلمها، ومن ظلمها التمرد بها نحو الإثم والمعصية وجعلها تبعـًا للأهواء والشهوات والشبهات.

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

١٢٧. من خطورة إبليس استخدامه لمجموعة من الخطوات في قصته مع آدم وحواء في الجنة ومنها .

* الوسوسة .
* تحريك النفس بشكل سلبي .
* الإبداء لهما (إظهار ما خفي عليهم).
* التركيز على السوأة .
* القول .
* الحوار .
* الإقناع .
* التعريض بالرب جَلَّ وَعَلَا .
* الاعتراف بالله ولكن على سبيل التشكيك فيه .
* الإدعاء بحرصه عليهما .
* الإغراء بالمُلك .
* الإغراء بالخلود في الدنيا .
* الكذب .
* إدعاء المعية أو القسمة .
* إدعاء النصيحة .
* المكر والخديعة .

١٢٨. الغاية عند إبليس من وسوسته لآدم وحواء كشف العورات .

١٢٩. كشف العورة بداية لكل معصية .

١٣٠. فضل الستر، وخاصة ستر البدن لما فيه من استجابة لأمر الله تعالى وأمر نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفيه إظهار للعفة والستر والزينة والطهارة والنظافة، وفيه ترفّع عن العريّ وخلاص من آثاره ومسبباته .

١٣١. من أقوى مداخل الشيطان للعبد العورات .

١٣٢. الشيطان يحرك في الإنسان الشهوة ومن أقوى مسببات الشهوة العريّ، فهو يجعل الإنسان يفكر ويتخيل ويحلم ويرسل لنفسه رسائل الإعجاب والإغراء وغيرها حتى يزيغه ويفتنه عن طريق الحق .

١٣٣. من الملاحظ حرص إبليس على كشف العورات وهذا دليل على عظم هذه المعصية لذا يجب الحذر منها .

١٣٤. المُلك في الدنيا والخلود فيها أمران يتمناهما كل إنسان لذا كانا العرض المقدم من إبليس لآدم وحواء حتى يكسب تبعيتهما .

١٣٥. كل مُلك يبلى وكل حياة تنتهي في هذه الدنيا فلا يغتر أحد بوعود إبليس الكاذبة .

١٣٦. يتكرر سوء الأدب من قبل إبليس حينما يتأله على الله ويقول لآدم وحواء ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ .

❋❋❋

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ .

١٣٧. أحياناً قد يتذلل الشيطان ويتمسكن للوصول إلى غاياته فإذا وصل تكبر واستأسد.

١٣٨. استخدم إبليس القَسَم علماً أنه كاذب زيادة في الغواية .

١٣٩. ادعى إبليس أنه ناصح لآدم وحواء وهو أيضاً كاذب مخادع، ومن النصيحة ما هو كذب وافتراء .

١٤٠. المنافق كثير الحلف بالكذب .

❋❋❋

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾.

١٤١. لم يقف الشيطان عند نجاحه في الإقناع والإغواء بل بدأ بخطوة أخرى من خطواته وهي الإدلاء، والإدلاء هي الدلالة على الشجرة أو على كيفية الأكل من الشجرة أو على الطريق الموصل إلى الشجرة .

١٤٢. قد يكون معنى الإدلاء أن جعلهما عالقين في أمر الأكل من الشجرة فأصبح الأمر كله له .

١٤٣. يجب أن يعلم المؤمن أن الشيطان لا يقف في إغواءه أو إفساده عند نقطة معينة، بل هو يستخدم خطواته التي تتناسب مع كل شخص حتى يضمن أنه قد أوقعه في الذنب أو الكبيرة أو جعله من أهل النار .

١٤٤. استخدم إبليس في عملية الإدلاء ما يسمّى بالغرور وهي صفة معروفة عنه، ويظهر أن هذا الغرور هو نتيجة نجاحه في إغواء آدم وحواء أو نجاحه وقدرته في استخدامه لأساليب الإقناع .

١٤٥. من اتصف بالغرور من بني آدم فهو يتصف بخلق شيطاني بغيض .

١٤٦. في الغالب أنه يصاحب الغرور الذي يتصف به أي إنسان صفات سيئة أخرى كالكبر والعجب والفوقية واستصغار الناس وحب الذات والحديث دائما بلغة الأنا والانتصار للنفس والحسد والغضب وغيرها، لذا وجب الحذر من الغرور .

١٤٧. من آثار المعصية أن مجرد البداية في فعلها تبدأ نتائجها ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ .

١٤٨. ليس مهمـًا هنا الشجرة بذاتها أو لماذا حرمت عليهما أو ما هو طعمها أو كيف الوصول إليها، المهم أن القرب منها معصية فكيف بالأكل منها.

١٤٩. من تزيين الشيطان المعصية لابن آدم أنه يجعله يعيش معه اللذة ويذيقه المتعة ثم إذا ما حصل عليها وانفك الشيطان منه عاد إلى رشده متحسّراً نادمـًا .

١٥٠. من آثار الذنوب والمعاصي على صاحبها أن تظهر سوءته الذي يسعى دائمـًا على أن لا يظهرها ويحرص جداً على إخفاءها وليس الكلام على السوءة الحقيقة فحسب بل هناك سوءة الأخلاق وسوءة التلفظ وسوءة التعامل وسوءة التربية وغيرها.

١٥١. أي نداء أو أمر أو تحفيز أو وعد من الرب جَلَّ وَعَلَا للعبد فليلزم العبد طريق ربه وليعمل بأمره وليستجيب لندائه وليتفاعل مع تحفيزه وليثق في وعده، وأي نداء أو أمر أو تحفيز أو وعد للعبد من الشيطان الرجيم فليعصي العبد شيطانه ولا يلتزم بأمره ولا يستجيب لندائه ولا يتفاعل مع تحفيزه ولا يثق في وعده .

١٥٢. على الأب والمربي والداعية أن لا يجزعوا أو يملّوا أو يسخطوا إذ لم

يُستجاب لهم ولدعوتهم .

١٥٣. مجرد وقوع آدم وحواء في المعصية سعياً على معالجة الأمر سريعاً إما خوفاً من العقوبة أو حياءً من الله أو كراهية في التعري وحباً في الستر.

١٥٤. أسرع آدم وحواء في علاج المعصية التي وقعا فيها وهي الأكل من الشجرة بستر سوءاتهما من ورق الشجر وتأخرا في ما هو أهم وهو التوبة .

١٥٥. شروط التوبة :

* الإخلاص .
* الإقلاع عن المعاصي .
* الندم على ما فات من المعاصي والآثام .
* العزم على عدم العودة للمعاصي والآثام.
* إعادة الحقوق إلى أصحابها .

١٥٦. آدم وحواء يُلحقون المسؤولية الأولى في معصيتهما لله على نفسيهما وليس على الشيطان، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾[1].

١٥٧. من فضل الله للعبد المذنب أن يلهمه الدعاء ويذكره به ويفتح عليه بالأدعية المستجابة .

١٥٨. توبة العبد من الذنب والإسراع فيها دون تردد أو تسويف دليل على إيمانه بربه.

١٥٩. استخدم آدم وحواء ورق الجنة كوسيلة تعينهما على الخروج من هذه المشكلة ومن هذا الذنب، والوسيلة تبرر الغاية .

---

(١) [سورة الأعراف: آية ٢٣].

١٦٠. على العبد المذنب أن يبحث عن من يعينه في أمر التوبة والعودة إلى الله كالصاحب الصادق أو كقراءة القرآن الكريم أو التدبر في قصص التائبين وغيرها.

١٦١. تأمل في تعامل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع آدم وحواء بعد أن وقعا في معصية أكل الشجرة :

* ﴿وَنَادَىٰهُمَا﴾، والنداء يكون من المكان البعيد، وفي المقابل كان يقول له ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾[1] وكأنه يدعوه من مكان قريب وذلك قبل أن يقع هو وزوجه في المعصية.
* ﴿أَلَمْ﴾، أداة استفهام فيها تذكير بموقف سابق قاما بخلافه تماماً.
* ﴿أَنْهَكُمَا﴾ أسلوب زجر وتقريع فيه بيان واضح بما كان يجب أن يفعلاه.
* ﴿عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ تحديد ماهيّة المعصية أو المنكر مرة أخرى وهذا فيه عتاب شديد .
* ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ﴾ لم أنهكما فقط بل أضفت على النهي قولاً مهماً كان يجب عليكما أن تعيانه وتجعلانه في محط الاهتمام.
* ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ بيان العدو الحقيقي لكما باسمه وبصفته وكان يجب عليكما الحذر منه .

١٦٢. معصيتان وقعا فيها آدم وحواء وهما العصيان لله وطاعة الشيطان .

١٦٣. آدم وحواء يأتيان بأصل الحلول وأولها لمعصيتهما وهو الاعتراف بالذنب.

❋❋❋

(١) [سورة الأعراف: آية ١٩].

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

١٦٤. الدعاء بلفظ ﴿رَبَّنَا﴾ من السنة، وقد ورد في القرآن الكريم قرابة مائة مرة ذكرها المؤمنون والكافرون والمنافقون، وذكرت في الجنة والنار.

١٦٥. هناك اعتراف من قبل آدم وحواء بظلمهما لنفسيهما باقترافهما المعصية .

١٦٦. من ظلم الإنسان لنفسه عصيانه لربه وطاعته لشيطانه وإتباعه لهواه، وقد يكون طريقًا لظلم الإنسان لوالديه ولذريته ولأرحامه وجيرانه .

١٦٧. في توبة آدم وحواء اعتراف بالذنب وطلب للمغفرة والرحمة من الله وبيان للنتيجة إن لم يغفر لهما الله ولم يرحمهما وهي الخسران المبين .

١٦٨. لا يستحي العبد من أن يعترف لربه بذنوبه ومعاصيه التي اقترفها لأن في ذلك الاعتراف صدق دعاء منه لربه .

١٦٩. طلب المغفرة من الله نتيجة ما فعلاه من الذنوب، وطلب الرحمة لأن أحد لن يدخل الجنة إلا برحمة الله فجمعت في سياق الدعاء.

١٧٠. حكم الله بالخسارة في أول السورة لمن خفت موازينه وهنا لمن اتبع الشيطان ولعل الجمع بينهما أن من اتبع الشيطان فقد خفت موازينه وعاقبته الخسران في الدنيا والآخرة .

❋❋❋

﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

١٧١. حصل من إبليس العناد والكبر وحصل من آدم وحواء طاعتهما للشيطان فكان جزاء الجميع أن هبطوا إلى الأرض .

١٧٢. كما تقدم، قد يكون الهبوط من الجنة الحقيقية أو من السماء أو من مكان

مكرّم المهم أنهم عوقبوا بالهبوط منه .

١٧٣. المكان الحقيقي لنا في الأصل هو الجنة .

١٧٤. كل معصية يقترفها العبد تهوي به إلى الأمكنة السفلى والمحلات الهابطة.

١٧٥. الخروج من الجنة بحد ذاته عقوبة من الله .

١٧٦. بهبوط آدم وإبليس إلى الأرض تبدأ قصة الصراع الحقيقي بينهما .

١٧٧. الأرض هي موطن الصراع بينهما .

١٧٨. لن تكون قصة الصراع متوقفة على إبليس وآدم، بل ستستمر بين أتباعهما، وستطول، وسيكون لها أحداث وقصص ومشاهد، وأسماء ذوات وأماكن وأزمان، وسيستخدم كل فريق أساليب وطرق في قصة الصراع تلك.

١٧٩. يجب أن يعلم المؤمن أنه في جهاد دائم مع العدو الأول والدائم (إبليس) وعليه أن يتخذ جميع الإجراءات ويقوم بكافة المهام ويضحي بكل ما يملك في سبيل أن ينتصر على شيطانه .

١٨٠. ما دام الإنسان فوق الأرض فهو لا يزال حيـًا فهو ينعم بالتمكين فوقها والعيش والاستقرار والمتاع وعليه أن يسخّر كل تلك الأمور في طاعة ربه ومعصية شيطانه .

١٨١. قصة الصراع بين آدم وإبليس ستكون إلى حين من الوقت، وهذا قد يكون عمر ابن آدم أو قد يكون مرتبط بعمر إبليس مما يعني أن قصة الصراع مستمرة إلى يوم القيامة .

١٨٢. قوله ﴿إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ توحي بأن العبد عليه أن يبادر بالعمل الصالح وأن يستعد لموعد الختام .

١٨٣. الأرض إضافة إلى أنها موطن الحياة والتمكين والاستقرار والمعايش وأنها موطن الصراع بين آدم وإبليس فهي كذلك مكان الموت ومدفن الأجساد وهي أيضاً منطلق خروج بني آدم ليوم القيامة .

١٨٤. من مواضيع سورة الأعراف المهمة ﴿ ٱلْأَرْضِ ﴾.

١٨٥. من حقوق الأرض على الماشي عليها والساعي فوقها إحياءها بالحق والمعروف والعمل الصالح كما تحيا بالماء والرعاية والاهتمام، وأن يبني فيها العبد مشاريعه العبادية والدعوية والتربوية، وأن يسعى لئن تكون شاهدة عليه بالخير يوم القيامة .

❋❋❋

﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

١٨٦. ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ مختصر دقيق لدورة الإنسان في هذه الدنيا، وهي دورة قصيرة لكنها مهمة جداً لكون العبد سيسأل عن ما قدّم وأعطى فيها .

١٨٧. ذكر الموت والتفكير فيه والاستعداد له يجعل العبد مترفعاً عن التعلق بالدنيا .

١٨٨. دورة الحياة القصيرة تدعو الإنسان بأن يكون مستمتعاً بما أحل الله له فيها ومتجددا بين أيامها ولياليها وعاملاً في فصولها وأحوالها .

❋❋❋

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

١٨٩. من المهم أن نصغي بأسماعنا لكل نداء في القرآن الكريم كـ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾[١] و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[٢] فالذي ينادي هو الله وهو لاشك ينادي لأمر هام وخطير يجب الالتفات إليه .

١٩٠. من نعم الله تعالى على عباده نعمة اللباس ويندرج تحت هذه النعمة نعم أخرى كـ:

* التجمّل .
* الستر .
* الدفء .
* المتاجرة به .
* الحفظ من الجان والشياطين .

١٩١. إضافة إلى اللباس أنزل الله على عباده الريش وهو نعمة أخرى يمتنّ الله بها على عباده وزيادة في الزينة لهم .

١٩٢. اللباس نوعان :

* حسّي وهو ما نلبسه من ثياب وأردية وسراويل وغيرها .
* معنوي وهو لباس غير مشاهد وأفضل من سابقه وهو لباس التقوى.

١٩٣. من يتلبّس باللباس الحسّي يستر عورته ويتجمل للآخرين ويظهر في صورة جذابة ويحترم من الغير فكيف إذا تلبّس باللباس المعنوي وهو الأهم وهو التقوى.

١٩٤. للباس أثر كبير على صاحبه .

---

(١) [سورة الأعراف: آية ١٥٨].

(٢) [سورة الأنفال: آية ١٥].

١٩٥. وجوب ستر العورة المغلّظة «السوءة» وخطورة كشفها وخروجها للأنظار لكونها محل فتنة لمعظمهم ولما في كشفها من دناءة النفس وقلة الأدب وانخرام المروءة وانحلال الأخلاق .

١٩٦. التقوى هي:

* وصية الله للأولين والآخرين .
* ملاذ من الفتن والشهوات والشبهات .
* الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

١٩٧. التقوى لباس لأنها وقاية بين العبد وبين عذاب الله إذا التزم أمره واجتنب نهيه وأخلص واجتهد في ذلك .

١٩٨. وضّح الله تعالى الحكمة من خيرية لباس التقوى وهي كون ذلك آية من آيات الله جَلَّوَعَلَا يجب على العبد أن يتدبرها ويقف عندها ويستخرج ما فيها من فوائد تعود عليه وعلى حياته بشكل عام .

❋❋❋

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾.

١٩٩. يحذّر الله تعالى في رسالة أخرى لبني آدم من فتنة الشيطان ﴿لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾، وفتنة الشيطان متنوعة الأساليب ومختلفة الطرائق يسوق بني آدم لها من خلالها .

٢٠٠. تأكيد النون في ﴿يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ والتشديد عليها يدل على خطورة فتنة الشيطان.

٢٠١. فَتَنَ الشيطانُ آدم وحواء فأخرجهما من الجنة، وعمل الشيطان ذلك موصول لبني آدم جميعهم ليخرجهم إلى الضلال والفساد والانحراف وذلك حتى تقوم الساعة .

٢٠٢. يظهر لنا من الآية مدى تأثير الآباء والأمهات على أبناءهم وبناتهم في عملية التربية والقدوة، فحين يخاطب الله بني آدم مخبراً لهم بما حصل لأبيهم في الجنة وكيف أطاع الشيطان وكيف أخرجه منها يتجلّى لنا أن الأب أو الأم قد يكونا سببان في صلاح الأبناء والبنات أو في فسادهم.

٢٠٣. الفرق بين إغواء الشيطان لآدم وبين إغواءه لذريته :

* إغواء الشيطان لآدم كان في الجنة وإغواءه لبني آدم في الأرض .
* إغواء الشيطان لآدم عن طريق الشجرة فقط وإغواءه لبني آدم عن طريق فتن شتى وشبهات عدّة .
* إغواء الشيطان لآدم كان إغواءً له ولزوجته فقط وإغواءه لبني آدم يكون لجميعهم .
* إغواء الشيطان لآدم حصل وانتهى وإغواء الشيطان لبني آدم قائم إلى قيام الساعة .
* إغواء الشيطان لآدم اتّضحت صورته ومالاته وإغواء الشيطان لبني آدم صوره ومالاته عدّة بعضها معلوم وبعضها غير معلوم .
* إغواء الشيطان لآدم أصل وأسٌّ لكل غواية لبنيه وإغواء الشيطان لبني آدم الفروع التي تفرعت من ذلك الأصل.

٢٠٤. لقد أخرج الله أبانا آدم وأمنا حواء من الجنة وهذا يدل على أن موطننا الأصلي ومكاننا الحقيقي هو الجنة، وعلى العبد أن يسعى باذلاً وصابراً ومعطياً في هذه الدنيا لكي يرجع إليها .

٢٠٥. كون الشيطان كان السبب وراء إخراج آدم وحواء من الجنة فهذا يكفي لئن يتخذوه بني آدم عدو لهم حتى قيام الساعة .

٢٠٦. على الآباء والمربين والدعاة والقدوات تذكير النشء بفتنة أبيهم آدم مع الشيطان .

٢٠٧. لك أن تتخيل حجم ومقدار الخسارة التي خسرها جميع بنو آدم منذ أن خلق الله آدم وحتى قيام الساعة بخروج أبيهم من الجنة .

٢٠٨. لقد تمرد الشيطان كثيراً على آدم وحواء وقبل ذلك على ربه فهو وإن كان يسعى في غوايتهما فهو أيضاً يقوم بنزع لباسهما لتتكشف عورتهما، وهذا فيه وقاحة وسفالة وسوء أدب مع الله .

٢٠٩. من لفظ ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ يتضح أن النزع كان بشدة منه -أخزاه الله -، أو كان وقعه شديد على آدم وحواء .

٢١٠. كيف لو سعى أحدهم على أن يكشف عورتك للآخرين بقوة وشدّة، لاشك أنك ستقابله العداء والكراهية.

٢١١. يسعى العلمانيون والليبراليون من خلال برامجهم على كشف العورات لكن بالقوة الناعمة - كما يقولون - فهم بذلك ينفذون أجندة طاغوتهم الأكبر إبليس .

٢١٢. من صفات الشيطان أنه يرانا من حيث لا نراه، وهذا يجعلنا أن نكون على

حذر شديد منه ومن خطواته .

٢١٣. جعل الله الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وهنا تتضح قيمة الولاء والبراء في الإسلام .

٢١٤. على العبد أن يسعى لئن يكون من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٢١٥. الشياطين تكون مع الكافرين والمنافقين، وكل ما قلّ إيمان العبد كان الشيطان منه أقرب .

٢١٦. من دخل في إيمانه شك أو شبهة أو شائبة من نفاق وغيره فهو تحت تأثير سطوة الشيطان ومعيّته لذا فعليه أن يتبرأ منه ليسلم إيمانه .

❊❊❊

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

٢١٧. من صفات الشياطين وأولياءهم من الكافرين والمنافقين فعل الفاحشة والعياذ بالله أو الدعوة إليها أو تهيئة بواعثها ودواعيها ومسبباتها، وهذا الأمر كافٍ بأن يجعل العبد يفارقهم ويجتنبهم ويحذر منهم ومن مجالسهم وإلا فقد يكون متأثراً بدعوتهم فيصبح مثلهم .

٢١٨. حينما يعترف أولياء الشياطين بفعل الفاحشة فهذا يعني أنهم وصولوا إلى مرحلة الفجور والفسوق وتجاوزوا مراحل عدة كمرحلة القرب والقول والإيماء والإشارة وغيرها .

٢١٩. لم يذكر الله تعالى من أفعال أولياء الشياطين إلا فعلهم للفاحشة لانتشار

هذا الفعل الشنيع بينهم وليبين سوء صنيعهم وخبث توجههم وعبثهم بالأعراض والأرحام.

٢٢٠. من صفات أولياء الشيطان أيضاً اعتدادهم بالآباء والأجداد في الباطل.

٢٢١. تأثر أولياء الشيطان بفعل آباءهم حينما وجدوهم على فعل الفاحشة، وهذا يعني لنا مرة أخرى تأثير الآباء والأمهات على الأبناء والبنات .

٢٢٢. ما يفعله الآباء والأمهات من منكرات لا يعدّ ذريعة للأبناء والبنات على تكرار فعلها .

٢٢٣. من أعمال الجاهلية التفاخر بالأنساب والتداعي بالأحساب .

٢٢٤. قد لا يكون سبباً وجيهاً أن تفعل الفاحشة لأن أباك أو جدك كان يفعلها أو قد يكون غير مقنع، لذا استخدم القوم ذريعة أخرى للخلاص من تبعات هذا الفعل فقالوا ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

٢٢٥. وفي ادعاءهم أن الله أمرهم بالفاحشة معصية عظيمة أخرى تضاف على معصية فعلها، ودليل على عظم جبروتهم وكبير طغيانهم وقوة تمردهم

٢٢٦. أهل الباطل يعترفون بربهم ويحيلون إليه الكثير من قضاياهم بالباطل ويعلنون أنهم يريدون الإصلاح كل تلك الأمور تعدّ سبلاً لإقناع غيرهم ليتأثروا بهم .

٢٢٧. الله جَلَّ وَعَلَا يرد على اتهامهم مباشرة بقوله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ردعاً لهم وزجراً لاتهامهم وتكذيباً لدعواهم .

٢٢٨. حاشا لله أن يأمر بالفحشاء وهو الذي أوجب ستر العورة وحرم مجرد القرب من الزنى ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وحرّص على صيانة وحفظ الأعراض .

٢٢٩. متى ما وجهت للمؤمن تهمة ما فعليه أن ينفيها مباشرة عن نفسه ولا يجعل للآخرين طريقاً عليه .

٢٣٠. من صفات أولياء الشياطين القول على الله بغير علم وهذه كبيرة من كبائر الذنوب .

❊❊❊

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

٢٣١. الله يأمر بالعدل لأنه العدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

٢٣٢. من عدل الله تعالى أن يأمر عباده بفعل المعروف وقول الحق ونشر الخير والإحسان إلى الآخرين، وينهى عن ما سوى ذلك .

٢٣٣. العدل خلق إسلامي عظيم وقيمة اجتماعية مهمة وسبب من أسباب التمكين وذراع قوي في الأزمات والفتن.

٢٣٤. أمر الله تعالى عباده بأن يوجّهوا وجوههم للقبلة عند كل صلاة تقام في المساجد، وقد جعل الله لأمة محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأرض مسجداً وطهورا.

٢٣٥. أمر الصلاة أمر عظيم، وشأنها شأن كبير لعدة أمور:

- أنها الركن الثاني من أركان الإسلام .
- أنها فرضت عن جميع الفرائض في السماء .
- أنها الصلة بين العبد وبين ربه .
- أن إقامتها سبب من أسباب التمكين في الأرض .
- أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر .

* أنها العهد الذي بين الإسلام والكفر، فمن تركها فقد كفر .

* أنها تجمع العديد من العبادات حال إقامتها .

٢٣٦. ذكر الله هنا أمر إقامة الوجوه عند كل مسجد لكون الصلاة تنهى عن الفحشاء والذي أقر أولياء الشيطان بفعلهم لها .

٢٣٧. الوجه أشرف ما في جسد الإنسان، وهو يحتوي على العقل والسمع والبصر وهن مصادر التلقي في الإنسان إضافة إلى الفؤاد، وهو مسؤول عن ما يتلقاه من خلالها ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

٢٣٨. المساجد بيوت الله على أرضه، لها مكانة عظيمة في الإسلام فهي مواطن الصلاة ومنابر الجُمع ومنارات الآذان وحلق الذكر ودروس العلم والعلماء.

٢٣٩. لمن يساهم في بناء المساجد سواءً كان بناءً ملموساً بالأدوات والأموال والعينيات أو بناءً معنوياً بالمحافظة على إقامة الصلاة فيها وقراءة القرآن بين جدرانها وحضور مجالس العلم في أروقتها وساحاتها له فضل عظيم وأجر كبير عند الله تعالى وهو دليل إيمان وعلامة هداية، قال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾[2].

٢٤٠. فضل الدعاء، و«الدعاء هو العبادة» كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

٢٤١. الإخلاص رأس أعمال القلوب، وأحد شرطي العبادة، ولا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان خالصاً لله جَلَّ وَعَلَا، ومن نتائجه بركة العمل

(١) [سورة الملك: آية ٢٣].

(٢) [سورة التوبة: آية ١٨].

وحضور التوفيق ووجود الأثر وغيرها .

٢٤٢. على الإنسان أن يفكر دائماً في مآل أمره ونهاية حياته وساعة انتقاله من دار الفناء إلى دار البقاء، وأن الله الذي قدّر له الحياة قد قدّر له الموت، وأنه وكما بدأ خلقه من طين فإن مردّه إلى الطين ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

❋❋❋

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

٢٤٣. قسم الله عباده إلى فريقين فريق فاز بهداية الله له وفريق استحق الضلالة، وهنا تكرر قضية الصراع الحقيقية في الدنيا .

٢٤٤. من أجلّ نعم الله على عبده نعمة الهداية، من أكرمه الله بها فقد ربح البيع مع الله، لذا فإن العبد يسألها في يومه سبعة عشر مرة أثناء صلاته حين يقرأ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾[1].

٢٤٥. من آثار نعمة الهداية والاستقامة على العبد:

- قربه من الله تعالى .
- محبة الله له .
- تذليل الله للصعاب التي تواجهه .
- محبة الناس له .
- فوزه بالتوفيق والبركة .
- تجسيده للقدوة الصالحة بين أفراد أمته .

(١) [سورة الفاتحة: آية ٦].

٢٤٦. من ممارسات فريق الضلالة أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهذا دليل خسران وخيبة لهم .

٢٤٧. ومن عظيم خسارة فريق الضلال أنهم في اتخاذهم الشياطين أولياء من دون الله يحسبون أنهم مهتدون .

٢٤٨. من جعل له وليّاً من دون الله (أيّاً كان ذلك الولي) فقد أشرك بالله .

❊❊❊

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾.

٢٤٩. في رسالة ثالثة من الله لبني آدم يأمرهم أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد لما يلي:

- أن في إظهار الزينة إظهار لنعمة الله على العبد .
- أن في إظهار الزينة تعظيم لله عَزَّوَجَلَّ .
- أهمية فريضة الصلاة من جميع النواحي ومنها ناحية الاستعداد لها بالزينة في الثياب .
- فيها بيان لفضل المساجد، فلا يدخلها وسخ ولا نجاسة ولا أمر مستكره أو مستقبح .
- فيه دعوة للزينة الروحية القلبية والزينة الخارجية في الثياب وغيرها .
- الزينة تبعث في النفس الطمأنينة والسكينة في النفس، وهذه أمور لابد منها قبل إقامة الصلاة وأثناءها وبعدها .

٢٥٠. هناك علاقة بين اللبس وبين الأكل والشرب بالنسبة للإنسان قد تكون

هذه العلاقة في أن أصلها جميعاً من التراب والماء، أو أن الإنسان لا غنى له عنها في الغالب، أو لأن لها الأثر الواضح والمهم في تشكيلة حياته ومشاعره واهتماماته .

٢٥١. الإسراف أمر مذموم في كل شي وليس في الأكل والشرب فقط، وهو مما يستثقله العقلاء ويكرهونه، وكذلك قد يكون سبباً في هلاك الأمة التي تمارسه أفرادها، ولو لم يكن للمسرف من عقاب إلا أن الله لا يحبه لكفى.

❊❊❊

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

٢٥٢. من أكبر الكبائر أن يحلّل العبد ما حرمه الله وأن يحرّم ما أحلّه الله .

٢٥٣. هناك دعاوى خبيثة ينشرها أهل النفاق مضمونها أن الحرام كثير جداً، ويدّعون بهذه الدعاوى جمود الإسلام ومحاربته للإنسان وللطبيعة – وقد كذبوا–.

٢٥٤. كل زينة وطيّب من الرزق من المأكل والمشرب والمركب والمسكن ومن المال أو التجارة ... الخ الأصل فيها جميعاً الحلّ إلا ما حرمه الله منها وهي قليلة جداً .

٢٥٥. أخرج الله لعباده الزينة والطيبات من الرزق من الأرض ومن السماء تكريماً لهم وبياناً لقدرته جَلَّوَعَلَا وامتناناً منه تعالى على عباده بهذه النعم.

٢٥٦. الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، والآخرة فقط لمن يحب .

٢٥٧. من فضائل أهل الإيمان أن الله جعل الزينة وطيبات الرزق خالصة لهم

يوم القيامة، أي من نصيبهم في ذلك اليوم يتمتعون بها ويأكلون ويشربون ويلبسون منها، مع ما حصل لهم من ذلك أيضاً في الدنيا .

٢٥٨. من الحرمان الذي سيلاقيه أهل الكفر والعناد حرمانهم مما كانوا يتنعمون به في الدنيا من الزينة والطيبات من الرزق في يوم القيامة .

٢٥٩. فضل أهل العلم .

٢٦٠. أهل العلم الشرعي إضافة إلى علمهم فهم أصحاب تدبر وتفكر، ويعلمون الحسن من السيء، ويدركون أهمية ما يحملونه من علم فيبلغونه للناس .

❊❊❊

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

٢٦١. حرّم الله تعالى خمسة أمور في هذه الآية، وهي أصول المحرمات الرئيسية وتندرج تحتها تفاصيل المحرمات الأخرى .

٢٦٢. حرم الله تعالى:

- الفواحش ... ما خالف السلوك الصحيح والأخلاق الفاضلة .
- الإثم ... ما خالف العبادات والطاعات من المنكرات والمعاصي .
- البغي ... التعدي على دماء وأموال وأعراض الآخرين .
- الإشراك بالله ... ويلحق بها محاربة العقيدة الصحيحة .
- القول على الله بغير علم ... في الأحكام والفقهيات والسنن وغيرها .

❊❊❊

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

٢٦٣. لكل أمة أجل، وكذلك لكل كيان أو مجتمع أو إنسان.

٢٦٤. من إيمان العبد أن يستشعر ويدرك حقيقة خاتمة أمره ثم يستعد لها الاستعداد الأمثل والأوفى.

❋❋❋

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

٢٦٥. هذه الرسالة الربانية الرابعة من الله تعالى لبني آدم، وقد جاءت بعد الحديث عن آيات تحدثت عن اللباس والزينة وخطوات الشيطان التي استخدمها مع آدم وبنيه في هذا الجانب، ولعل العلاقة التي بين هذه الرسالة في الآية الكريمة والرسائل في الآيات الثلاث التي قبلها أن الذي أحل وأباح الطهر والستر والزينة والطيبات من الرزق من أكل وشرب ومسكن ومركب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه هو أيضاً جَلَّ وَعَلَا حرّم العري والتكشف والابتذال والإسراف وغيرها، وأن هذه الأحكام جاءت من عنده جَلَّ وَعَلَا عن طريق رسله الذين أرسلهم إلى بني آدم، وأن على بني آدم أن يتبعوا هؤلاء الرسل بما جاءوا به من عند الله تعالى، وعليهم أن يحذروا من مخالفة ما جاءوا به.

٢٦٦. اصطفى الله من عباده رسلاً منه لعباده، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[1] وقد ذكر بعضهم في القران الكريم بأسمائهم وقص علينا قصصهم وبيّن لنا أخبارهم وعددهم خمسة وعشرين رسولاً، وذكر في

(١) [سورة النحل: آية ٣٦].

القران الكريم أن رسلاً كثير لم يعرفوا بأسمائهم ولم تقص قصصهم وهم كثير لا يعلم بعددهم إلا الله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1] وذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عدداً من الرسل حينما سُئل عن عددهم فقال: «ثلاثمائة وبضعة عشر، جمّا نفير»، وذكر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أسماءً لأنبياء لم يذكروا في القران الكريم مثل: شيث، ويوشع .

٢٦٧. خصائص الرسل عليهم الصلاة والسلام عظيمة وكثيرة ومن أهمها أن الإيمان بهم واجب والكفر بواحد منهم كفر بهم جميعاً، وأن هدفهم واحد وإن تعددت أساليبهم في الدعوة وهم أشدّ الناس بلاءً، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا الأمة وجاهدوا في الله حق جهاده...الخ، وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصائص انفرد بها عن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

٢٦٨. يبيّن الله تعالى لبني آدم أن رسلاً سيأتون من عنده برسالة الحق والهدى وأنه لا بد من سماعهم والأخذ بما جاء في تلك الرسائل والعمل بمضمونها، ونشر ما فيها من خير ليكون الجزاء رضى الله ومن ثم الجنة، وفي المقابل أن أيّ إعراض أو صدٍّ أو كفر بتلك الرسائل التي جاءت من عند الله عن طريق هؤلاء الرسل فإن المصير إلى النار وبئس المصير والعياذ بالله.

٢٦٩. فضل قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من خلال تلاوتها وتدبر ما فيها من وقفات وآثار وأحكام وفوائد.

٢٧٠. من أجمل الأساليب الدعوية القصص متى ما أخذ الداعية بشروط عرضها للناس ومن أهم تلك الشروط:

---

(١) [سورة غافر: آية ٧٨].

* أن يكون لها مصدر، وأن يكون موثوقًا .
* أن تقبلها العقول والأفهام – البعد عن الخيالات –.
* أن تسند بالأدلة والبراهين.
* أن تجتنب الإطالة التي تسبب الملل.
* أن يقف المتحدث مع الفوائد والعبر والعظات من القصص.
* أن يصاحبها ما يجملها من كلام العرب وأشعارهم وطرفهم .

٢٧١. آيات الله منها المكتوب ومنها المشاهد وفي جميعها من العظات والعبر والفوائد الشيء الكثير.

٢٧٢. بيان فضل التقوى والصلاح وقد ذكر هاتين الصفتين في الآيات السابقة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾[1] و﴿وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾[2].

٢٧٣. قضية الصراع في هذه السورة تتكرر هنا مرة أخرى فالله يذكر أن الناس مع الرسل وآيات الله صنفان صنف تقي صالح وصنف مكذب ومستكبر.

٢٧٤. أن من نتائج التقوى والصلاح للعبد أن لا خوف عليه من قادم أيامه ومستقبل حياته في الدنيا والآخرة أيضًا، ولا حزن يغشاه على دنيا أو مال أو زوجه أو ولد أو مصلحة أو غيرها وإنّ ما عند الله خير وأبقى.

٢٧٥. من أجل نعم الله تعالى على بعض عباده أن ينجيهم من الخوف من المستقبل ومن الحزن على الماضي متى ما أقاموا العبادات الربانية وأخلصوها له جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) [سورة الأعراف: آية ٢٦].

(٢) [سورة الأعراف: آية ٣٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

٢٧٦. ثم بيّن الله تعالى الصنف الثاني من الناس وتعاملهم مع الرسل وآيات الله، وهم الذين كذبوا الرسل وكذبوا بتلك الآيات وإضافة إلى تكذيبهم استكبروا عنها جوراً وظلماً.

٢٧٧. إن من أشد ما لاقاه الرسل عليهم الصلاة والسلام من أقوامهم هو تكذيبهم لهم وبما جاءوا به، وقد شكل هذا الأمر همّاً نفسياً لدى الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل إن بعض الرسل اتهموا بالكذب بين أقوامهم ومن الناس من صّدق هذا الادعاء.

٢٧٨. فليحذر الداعية من الكذب في دعوته، وعليه أن يلزم الصدق مهما كانت تبعاته، فإن كُذِّبَ فله سلفه من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإن صُدَّق فله أجر الدعوة مع ثقة الناس به .

٢٧٩. أن من نتائج تكذيب الرسل وما جاءوا به والاستكبار عليهم الخلود في النار والعياذ بالله .

٢٨٠. الكافر يحرص على دنياه ويتمنى أن يخلّد فيها لذا ناسب أن يعامله الله بالخلود في النار .

❋❋❋

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

٢٨١. من الظلم الافتراء على الله الكذب، وهو من أشد أنواع الظلم.

٢٨٢. من أنواع الظلم:

* ظلم الإنسان لنفسه.
* ظلم الإنسان لأسرته.
* ظلم الإنسان للناس أجمعين.
* أعظم الظلم الشرك بالله.

٢٨٣. من أنواع الافتراء على الله:

* الكذب عليه.
* الشرك به.
* عدم ذكر اسم الله على الأنعام.
* قتل الأولاد سفهاً بغير علم وتحريمهم ما رزقهم الله.

٢٨٤. الافتراء على الله قد يكون بالكذب عليه أو قد يأتي بالتنقيص من قدره أو الاستهزاء به أو التكذيب بما جاء به .

٢٨٥. الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها ينالهم الخير والشر اللذان قدرا لهما في الدنيا، ونيلهم له إنما هو مؤقت ببقائهم فيها .

٢٨٦. الذي يقدر وفاة العبد هو الله جَلَّ وَعَلَا وإن اختلفت أسبابها .

٢٨٧. من صور الكذب على الله :

* تكذيب الآيات .
* تحليل الحرام وتحريم الحلال.
* إضلال الناس بغير العلم .
* القول على الله بغير علم .

* دعوى النبوة.
* الإدعاء أن الله أمر بالفحشاء .
* الإدعاء بأنه سينزل ما أنزله الله .

٢٨٨. قد يشهد الإنسان على نفسه يوم القيامة، وهناك شهود آخرون قد يشهدون عليه كالجوارح والأرض والملائكة وشهادة الله جَلَّ وَعَلَا وكفى به شهيداً .

٢٨٩. من عدل الله تعالى أنه لا يعذّب أحداً من عباده حتى يقرّ بما فعل وأدرك أنه يستحق العذاب .

٢٩٠. من مفاسد الكذب على الله :

* تبديل الدين .
* منافاة التسليم والانقياد لأمر الله .
* سوء الظن بالله .
* صناعة دين جديد .

٢٩١. من مفاسد الذين كذّبوا الله:

* عدم تعظيمهم الله .
* إنكار العبودية .
* المُكذبِّون أهل جحود وكفر ونفاق وإعراض .
* المُكذبِّون لا يعملون لله .
* المُكذبِّون يوصفون بأخلاق الشيطان .
* المُكذبِّون لا يريدون أن يفهموا أو يتدبروا أو يقتنعوا .

٢٩٢. العبادة الحقة تكون لله فقط ومن لا يعبد الله فسيعبد غيره لا محالة .

٢٩٣. قال تعالى ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ سؤال من التابعين الذين افتروا على الله كذبًا وكذبوا بآياته للمتبوعين لهم في ذلك وقد أجابوهم بأنهم ضلوا عنهم، فكان عقابهم جميعًا أن أدخلهم الله النار والعياذ بالله.

❋❋❋

﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

٢٩٤. من أعظم ما يخاف منه العبد أن يحكم عليه بالدخول إلى النار والعياذ بالله.

٢٩٥. على العبد أن يستثمر حياته في طاعة ربه وترك ما نهى عنه علَّه يظفر بأن لا يكون من أهل النار.

٢٩٦. قد تتأثر أمة بأمة سلبًا أو إيجابًا، ولا شك أن للأمة المتأثرة ما للأمة المؤثرة وعليها ما عليها.

٢٩٧. الحذر من المنكر العام أو المعاصي المنتشرة في أي مجتمع واجب ويجب العمل على محاربة ذلك المنكر أو تلك المعاصي لما لها من آثار سلبية وخطيرة على ذلك المجتمع، ومن أثارها أنها قد تكون سبب هلاك أفراده جميعهم.

٢٩٨. من خطورة معصية الافتراء على الله أو تكذيب آياته أنها ليست مقصورة على الإنس فقط بل على الجنَّ كذلك .

٢٩٩. ذكرت النار في القرآن الكريم قرابة ١٣٩ مرة، والجحيم قرابة ٢٦ مرة، والحريق قرابة ٥ مرات، والسعير قرابة ٨ مرات، والعذاب الشديد قرابة

المرتين، والعذاب الأليم قرابة ٦ مرات، وهذا يدل على عظم موضوع النار وأنها من مواضيع السورة، وأنه يجب على المؤمن الحذر منها ومن كل شيء يقرّب منها.

٣٠٠. من عظيم العقوبة لأهل النار أيضا ما يحصل بينهم من اللعن والتلاوم والتحسَّر

٣٠١. ومن العقوبة أيضـًا أن ذلك كله لن يفيدهم بشيء أبداً والعياذ بالله.

٣٠٢. لك أن تتخيل والأمم الكافرة يلعن بعضها بعضا في النار، كيف هو الكره والحقد والغيظ التي يحملها كل منهم للآخر .

٣٠٣. الأمم الكافرة يتعرضون في هذا المشهد لأكثر من نوع من أنواع العذاب مثل:

* التوبيخ .
* اللعن في ما بينهم .
* عذاب النار نفسها .
* الضعف الذي حكم الله عليهم به .
* الإهانة .
* الإيذاء والتجريح .
* العذاب النفسي .

٣٠٤. يجمع الله الأمم في مكان واحد في النار ليحصل ذلك اللعن والتلاوم والاتهام بينهم.

٣٠٥. يحصل الحوار بين الأمم الأولى والأخيرة، فتلقي الأمم الأخيرة مسؤولية إضلالهم وغوايتهم على الأمم الأولى، وتطالب بمضاعفة العذاب لها،

وهذا أيضاً من باب التغليظ في العقوبة.

٣٠٦. حتى في الدنيا فليحذر الإنسان من تبعية الباطل وأهله، لأنه لن يغني عنه شيئاً إذا احتاج له أو لأصحابه.

٣٠٧. في الأزمات والمحن لن يقف معك إلا من كانت علاقتك به في ذات الله وغير ذلك لن يقف معك أحد .

٣٠٨. الأخوة الحقيقية هي أخوة العقيدة .

٣٠٩. للقدوات أثر عظيم في مجتمعاتهم .

❊❊❊

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٣٩﴾.

٣١٠. ويستمر الحوار بين الأتباع والمتبوعين في النار، فبعد أن طالب الأتباع ربهم بان يضاعف للمتبوعين العذاب جرّاء ما فعلوه من إضلال لهم، يتبرأ المتبوعين من تابعيهم بل يدّعون أن ليس لهم فضل عليهم، وهذا يشير مرة أخرى أن المتبوع الكافر إذا انكشفت الأمور وتجلّت الحقائق يتبرأ من تابعيه، وهو فعل سيدهم إبليس .

٣١١. على المؤمن أن يعيد النظر في قدواته الذين يتّبعهم ويقتدي في حياته بهم .

٣١٢. إضافة إلى أن المتبوعين تبرأوا من التابعين وهذه في حدّ ذاتها خسة وحقارة إلا أنهم أيضاً يتمنون لهم العذاب ويشمتون بهم مع أنهم في نفس العذاب .

٣١٣. لابد للعبد من مكاسب له في الدنيا، وتلك المكاسب قد تكون خيراً وقد تكون شراً .

٣١٤. على المؤمن أن يكوّن له مكاسب غالية عند ربه من الأعمال الصالحة والطاعات والأسرار وغيرها .

❋❋❋

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

٣١٥. يصوّر الله تعالى مآل آخر ووعيد متجدد للذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهو أن أبواب السماء لن تفتّح لهم ولن يدخلوا الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وهذا فيه مزيد تعذيب ونكاية لكل من كذب بآيات الله واستكبر عنها .

٣١٦. مسكين ذلك العبد الذي يطرق باب ربه لحاجة له فلا يفتح له .

٣١٧. مما يجده الكافر في دنياه أنه لا اتصال بينه وبين ربه، ويستمر هذا الانقطاع حتى في اليوم الآخر .

٣١٨. يتجلّى للكافر مصيره الحتمي والأخير حينما يحكم عليه بأنه لن يدخل الجنة مهما بلغت الأمور والحيثيات، بل إن الله قال لن يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط .

٣١٩. هناك ما هو أعظم وأكبر من الجمل لكن الله خاطب قريش ببيئتهم وبما تستوعبه عقولهم وإدراكهم، وهم يظنون أن الجمل الحيوان الأكبر والأعظم .

❋❋❋

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

٣٢٠. حرم الله على المكذبين دخول الجنة فليس لهم إلا النار بما فيها من صور العذاب المختلفة.

٣٢١. من أعظم نتائج التكذيب والاستكبار دخول النار، وكفى بها وعيداً شديداً ومقراً أليمـاً.

٣٢٢. من صور الظلم العظيمة أن يظلم الإنسان نفسه بأن يكون مكذِّبـاً لموعود الله ومستكبراً على تعاليمه وشرائعه.

❊❊❊

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

٣٢٣. بعد أن بيّن الله جَلَّوَعَلَا حال المكذبين والمستكبرين ومآلهم يبيّن هنا حال أهل الإيمان ومآلهم.

٣٢٤. من ثمرات الإيمان بالله أنها تسوق صاحبها إلى أهل الحق وجادة الصواب، بخلاف النفاق والإلحاد وغيرها فهي تسوق صاحبها إلى طرق الشيطان المختلفة.

٣٢٥. لا إيمان لمن ليس له عمل صالح، ولا عمل صالح يقبل دون إيمان.

٣٢٦. من رحمة الله تعالى أنه لم يكلّف على عبد من عباده بل أمرهم بالعمل الصالح على قدر استطاعتهم.

٣٢٧. ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] قاعدة قرآنية تربوية مهمّة .

(١) [سورة البقرة: آية ٢٣٣].

٣٢٨. الإيمان هو القضية الكبرى لكل مسلم لذا يجب عليه تحقيقه.

٣٢٩. الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

٣٣٠. الإيمان هو الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالأركان.

٣٣١. الإقبال على الطاعات يزيد الإيمان .

❊❊❊

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

٣٣٢. من صفات أهل الجنة أنهم يحملون في صدورهم قلوباً سليمة على بعضها البعض، فلن تجد في الجنة تلاوم أو تلاعن أو ضغينة أو حسد أو غيرها.

٣٣٣. على المؤمن أن يكون سليم الصدر على إخوانه المسلمين، وأن لا يحمل في قلبه على أحد منهم غلاً أو حسداً .

٣٣٤. قد يحمل المؤمن شيئاً من الحسد والغل على أحد من إخوانه في الدنيا، ولكن مجرد أن يكون من أهل الجنة ينزع الله ذلك الغل من صدره .

٣٣٥. من أفضل الأعمال التي تعين على سلامة الصدر:

- حسن الظن بالآخرين
- حملهم على أحسن المحامل.
- أن يلتمس لهم الأعذار عند حصول الخطأ منهم.
- نسيان إساءاتهم.

* الدعاء لهم بالعفو والمغفرة.

٣٣٦. من آثار نعمة دخول العبد الجنة هو حمده المتكرر لله تعالى يوم أن هداه للطريق القويم والمنهج المستقيم والذي كان آخره الجنة، نسأل الله العظيم من فضله.

٣٣٧. الله جَلَّوَعَلَا يمتنّ على عباده بنعمة الهداية، وهي من أجلّ نعمة وأعظمها، ومن دلائل عظمتها أن أصحاب الجنة يثنون على الله أن منحهم إياها.

٣٣٨. نعمة الهداية من الله جَلَّوَعَلَا فهو الهادي سبحانه، لذا فإن العبد لابد أن يجتهد في أن يسأل الله الهداية، وأن يحتسب دعاءه في كل صلاة وهو يقول ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[1]، وعلى الأب والأم أن يستعينا بالله تعالى في أمر هداية أبناءهم وبناتهم ويسألون الله تعالى ذلك، فإن الله تعالى يقول ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٥٦﴾[2] ويقول ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ...﴾[3].

٣٣٩. أصحاب الجنة يعترفون أيضاً بمجيء الرسل إليهم، وأنهم جاءوا بالحق من عند الله تعالى، وهذا فيه إشارة إلى فضل الرسل عليهم الصلاة والسلام في تأديتهم للرسالة التي أمروا بتأديتها، وفيه أيضاً بيان اعتراف المؤمن بفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام عليه.

❊❊❊

(١) [سورة الفاتحة: آية ٦].

(٢) [سورة القصص: آية ٥٦].

(٣) [سورة البقرة: آية ٢٧٢].

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾.

٣٤٠. بعد أن بيّن الله عَزَّوَجَلَّ حال أهل النار وما هم فيه من تلاوم ولعن لبعضهم البعض وتبادل التهم وإلقاء المسؤوليات وما يلحق ذلك من سوء المآل، ثم بيّن الله حال أهل الجنة وما هم فيه من نعيم وما صدر منهم من حمد لربهم أن أسكنهم إياها، يبدأ جَلَّوَعَلَا ببيان الحوار الذي صار بين الفريقين.

٣٤١. نداء أصحاب الجنة هو النداء الأول لأنه يعقبه نداءات أخرى وتأتي على حسب موضعها في الآيات .

٣٤٢. ذكر أصحاب الجنة في سورة الأعراف ٤ مرات، وذكر أصحاب النار في نفس السورة ٤ مرات، وهذا فيه بيان عدل الله تعالى بين الفريقين، وفيه أيضاً أن قصة الصراع بينهما لا زالت قائمة.

٣٤٣. لك أن تتخيل مشاعر أصحاب الجنة مع ما هم فيه من نعيم مقيم وهم يرون أصحاب النار وما هم فيه من عذاب أليم :

* يتجدد لهم تحقق عدل الله الكامل.
* يتحقق لهم أن الله قد أوفى بوعده لهم وبوعيده لأهل النار.
* تغمرهم السعادة الكاملة حينما يرون أهل الظلم والجبروت والعناد من الكفرة والطواغيت يعذبون في النار.
* يشعرون أن الله قد انتقم لهم من أولئك الكفرة والطواغيت الذين ظلموهم وعذبوهم واستعبدوهم في الدنيا.
* يحمدون كل طاعة فعلوها، وكل معصية تركوها.

٣٤٤. لك أن تتخيل مشاعر أصحاب النار مع ما هم فيه من عذاب أليم وهم يرون أصحاب الجنة وما هم فيه من نعيم مقيم :

* الهم المضاعف والحسرات المتتالية.
* يصدّقون حين يرون العذاب أن الله قد أوفى بوعيده لهم.
* يتألمون وهم يرون من كانوا لهم عبيداً في الدنيا أصبحوا في الجنة وهم في النار .
* يتحسرون على ما فعلوه في الدنيا من ظلم واعتداء وكفر وطغيان.

٣٤٥. الهدف الأعظم من مشهد الترائي بين أصحاب الجنة وأصحاب النار أن يعرف كل فريق أن الله قد أوفي بوعده مع الجميع، وأن يرى كل طرف الطرف الآخر وهو يعيش حقيقة مآله ونهاية أمره.

٣٤٦. في النار وحينما يتعاظم شقاء أهلها برؤيتهم لأصحاب الجنة يعترفون أيضاً بأنهم قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقا، فقد وعدهم النار أن يعذبهم فيها إذا استمرئوا الباطل واستمروا على الفجور وتمردوا على الدين والعقيدة وتعدّوا حدود الله التي حدّها لهم ولن تنفعهم قوة ولن يقف معهم أعوان ولن يخرجهم من عذابهم شفاعة أو واسطة.

٣٤٧. في الآية رسالة لكل من انحرف عن الطريق القويم والمنهج المستقيم بأن يحذر من أن يكون من أصحاب النار الذين هم في عذابهم يتألمون إضافة إلى أنهم يرون أصحاب الجنة في نعيمهم يتنعمون.

٣٤٨. الآذان بين الفريقين هو الفصل في مآلهم، إذ أن كل فريق في داره التي سكن فيها لن يخرج منها البتّة .

٣٤٩. اقتصار الإجابة على كلمة – نعم – دليل على أنهم بلغوا الغاية في الحزن والهم .

٣٥٠. أصحاب النار كفروا بالله وصدوا عن سبيله فاستحقوا اللعن من الله.

٣٥١. اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، فأصحاب النار قد طردوا من رحمة الله وكذلك طردوا من نعيمه وجنته.

٣٥٢. من خصائص أصحاب النار ظلمهم لأنفسهم بأن كفروا بالله وفجروا وعاندوا حتى أوقعوها في النار والعياذ بالله .

٣٥٣. على المؤمن أن يقف مع وعد الله ووعيده، فلا يسخر بهما أو يكذبهما أو يغفل عنهما، وأن يستشعر قول الله تعالى "ومن أوفى من الله"، وليس له أن يصد عن سبيل الله.

❊❊❊

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

٣٥٤. الذي يصد عن سبيل الله يتفنن في الكذب والدجل والتزوير، ويظهر بوجه ويخفي وجه آخر، وكذلك في تغيير المصطلحات.

٣٥٥. من شدة ظلمهم لم يكتفوا بالصد عن سبيل الله بل أرادوا أن تكون رسالة الله منحرفة ذات عوج.

❊❊❊

﴿ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

٣٥٦. مما يزيد في بهجة وفرحة أصحاب الجنة وكذلك في حسرة وحزن أصحاب النار أن ينصب بينهما حجاب ليتأكد الجميع بموعود الله للفريقين.

٣٥٧. الأعراف هم من استوت حسناتهم وسيئاتهم على أرجح الأقوال والله أعلم.

٣٥٨. أصحاب الأعراف تعاملوا مع أصحاب الجنة وأصحاب النار كل بحسبه.

٣٥٩. الأعراف مع أصحاب الجنة:

* عرفوهم بعلاماتهم المبشّرة.
* نادوهم.
* سلموا عليهم.
* لاموا أصحاب النار من أجلهم.
* شهدوا لهم بأن لا خوف عليهم في الجنة ولا هم يحزنون.

❊❊❊

﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

٣٦٠. الأعراف مع أصحاب النار:

* عرفوهم بعلاماتهم المنفّرة.
* عاتبوهم.
* أخبروهم بأن لا فائدة من جموعهم.
* سألوا الله أن لا يجعلهم معهم.

٣٦١. العاقل لا يتمنى أن يكون حاله كحال أهل النار أو أنه معهم في مآلهم ومصيرهم.

❊❊❊

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.

٣٦٢. للكفر والنفاق والذنوب والمعاصي آثار وعلامات تظهر على وجوه أصحابها منها ما يظهر في الدنيا ومنها ما يظهر في الآخرة.

٣٦٣. من حسرات الذين كفروا أن يُسألوا وهم في النار ما الذي أغناكم في جمعكم عن الله وبماذا نفعكم استكباركم وغروركم وضلالكم.

❋❋❋

﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾.

٣٦٤. سؤال لأصحاب النار يتضمن توبيخاً من الله تعالى لهم، وفيه أتقسمون بأن الله لن يرحم أصحاب الأعراف بعد موقفهم العصيب بين الجنة والنار، فيحكم الله لهم بالجنة رحمة منه لهم وفضلاً منه عليهم، وقيل أن المقصود أتقسمون بأن الله لن يرحم أصحاب الجنة .

٣٦٥. وسواء كانوا أصحاب الأعراف أو أصحاب الجنة فقد حكم الله تعالى لهم بدخول الجنة وهذا الأمر هو أبلغ المُنى وأغلى المقاصد وأعظم الأمنيات.

٣٦٦. حينما يدخل أصحاب الجنة الجنة فإنهم لا خوف عليهم من مستقبل أيامهم فيها فهم في دار الرضوان، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في دنياهم فقد حصلوا على ما هو أغلى منه وأثمن.

❋❋❋

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾.

٣٦٧. لا زال مسلسل النداءات مستمر بين أصحاب الجنة وأصحاب النار وفي هذا المشهد الذي ينادي هم (أصحاب النار) والمنادى (هم أصحاب الجنة)، وفي هذا الأمر بيان أن كل من الفريقين يرى الآخر أو يسمع به أو يشعر بوجوده، وفيه أيضاً دوام صحبة كل منهم للدار التي يسكنها، وفيه بيان عدل الله تعالى للجميع، وفيه أن مشهد الترائي لم ينقطع.

٣٦٨. أصحاب النار ينادون علّ في نداءهم أن يجدوا لهم مخرجاً أو فرجاً عند أهل الجنة، والأمر قد قضي بعد أن أذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين.

٣٦٩. أصحاب النار يتوسّلون ويسألون أصحاب الجنة، وهذا الأمر يُضاف إلى ما هم فيه من الذل والخزي والعار، فهم عطفاً على أنهم في النار، فهم يحاورون أصحاب الجنة على سبيل السؤال والطلب.

٣٧٠. قولهم: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، يعني أنهم في المكان الأسفل والأبعد، وفيه بيان أثر النار على حناجرهم وبطونهم وأنهم في ظمأ شديد وبحاجة ماسة للماء، وفيه طلبهم الزيادة في الماء والذي يأتي بمعنى الفائض منه، وفيه أن ما يشربونه من صديد النار وقيح جهنم لا يفي لإرواء ظمأهم.

٣٧١. قولهم: ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي غير الماء من النعم والهبات والعطايا التي جعلها الله نعيماً لأهل الجنة في جنتهم، وفيه رضاءهم بأي شيء المهم أن يكون من الجنة ومن خارج النار.

٣٧٢. أصحاب الجنة يردون على أصحاب النار بقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾ وفيه سؤال: لماذا لا تأخذ أصحاب الجنة الشفقة

والرحمة على أصحاب النار؟ والإجابة: هو علمهم بأن الأمر قد انتهى والحكم قد قضي وأن كل فريق في داره لا يخرج منها البتة، وقد تأخذهم الرحمة والشفقة على أصحاب النار إلاّ أنهم عاجزون عن فعل شيء فأحالوا الأمر إلى الله جَلَّوَعَلَا.

❋❋❋

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾.

٣٧٣. من صفات الكافرين:

- ❋ اتخذوا دينهم لهواً.
- ❋ اتخذوا دينهم لعباً.
- ❋ غرتهم الحياة الدنيا.
- ❋ نسوا لقاء الله.
- ❋ جحدوا بآيات الله.

٣٧٤. في الآية بيان مآل من اتخذ دينه لهواً ولعباً وغرته الحياة الدنيا ونسي لقاء الله وجحد بآياته.

٣٧٥. الإسلام دين الاستقامة والمجاهدة والعمل والجديّة والعطاء، «قل آمنت بالله ثم استقم».

٣٧٦. اللهو هو كل ما ألهى العبد عن دينه.

٣٧٧. اللعب المذكور في الآية هو رمي أصول الشريعة بالنقص، والاعتماد على غيرها من القوانين والدساتير الأخرى، والعبث بأحكام الإسلام.

٣٧٨. الغرور فتنة يصاب بها العبد، كحبه للدنيا والركون إليها ونسيان الآخرة.

٣٧٩. في الآية بيان واضح على حقارة الدنيا وهوانها عند الله متى ما كانت الهم الأول عند العبد.

٣٨٠. عقوبة من اتخذ دينه لهواً ولعبًا وغرته الحياة الدنيا أن ينساه الله، ونسيان الله ليس لأنه (نسّاء) حاشا لله، وإنما القصد منه تركه للعبد الكافر الفاجر الذي نسي لقاء الله، وهذا خزي آخر وعقاب يُضاف إلى ما قبله.

٣٨١. من ظلم هؤلاء لأنفسهم أنهم إضافة إلى ما تقدم من عذاب وسوء مصير لهم أنهم أيضًا كانوا يجحدون بآيات الله ويكفرون.

❋❋❋

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٣٨٢. من نعم الله تعالى على عباده القرآن الكريم.

٣٨٣. من صفات القرآن الكريم أنه نزل بالحكمة والبيان والبرهان، وأنه هدى ورحمة للعالمين.

٣٨٤. من علامة إيمان العبد، يقينه أن القرآن الكريم كلام الله، وأنه منزّل من عنده سبحانه، وأنه رحمة وهدى للعاملين.

❋❋❋

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

٣٨٥. ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ سؤال للكفار والمشركين يعني هل ينتظرون ما فيه من خزي وندامة وحسرة وعذاب وسوء مآل لهم والعياذ بالله.

٣٨٦. من ضلال بعض العباد نسيان القرآن الكريم ونسيان ما تضمنه من وعد ووعيد، وهناك أنواع أخرى من نسيانه:

* نسيان قراءته.
* نسيان تدبره.
* نسيان حمله.
* نسيان مآلاته ومقاصده.

٣٨٧. يأتي يوم يعترف فيه أولئك الذين نسوه من قبل بأن الله قد أرسل الرسل بالحق، وذلك الاعتراف مصحوب بالندم والحسرة .

٣٨٨. وحين يدركون الأمر ويعلمون أن الله قد حكم عليهم بالخزي والعار يبحثون عن شفعاء يشفعوا لهم عند ربهم، أو يُردّون مرة أخرى فيعملون من الخير والحق والعدل غير ما كانوا يعملون من الخزي والباطل والشر.

٣٨٩. لن ينفع ندمهم، ولن يفيد استجداءهم، ولن تنجيهم حسرتهم، فقد خسروا أنفسهم وخسروا الدنيا والآخرة، وضلوا عن مراد الله بكذبهم واستكبارهم وافتراءهم نعوذ بالله من الخسران العظيم .

❊❊❊

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾.

٣٩٠. يبيّن الله تعالى للعالمين عظمته وهيبته وجلالة قدره وسمو مكانته في هذه الآية الكريمة أنّه الرب والإله والخالق والقادر والآمر، وأنّه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنّه استوى على العرش، وأنّ مخلوقاته عظيمة وأنّها تسير وتدور بأمره، وأنّ له في كل آية حكمة.

٣٩١. الآية تبعث في قلب المؤمن الأمن والأمان والطمأنينة بأن ربه هو الله الذي لا إله إلا هو، وتشعره بالعزة والتمكين؛ لأن الله هو المعز والناصر والمعين، وتدعوه إلى الانتماء لعبودية الله جَلَّوَعَلَا وهي أشرف انتماء لأي أحد.

٣٩٢. كل من تعلّق بالله وآمن به حق الإيمان وعبده حق العبادة والتجأ إليه بصدق اللجأ فلا يخاف ولا يتعلّق ولا يتردد ولا يحتار ولا يفشل ولا يزل ولا يهان، إذ كيف يخاف العبد وأمانه مع الله؟، وكيف يقلق وثباته مع الله؟، وكيف يتردد وطريقه إلى الله؟، وكيف يحتار وأمنه مع الله؟، وكيف يفشل ونجاحه مع الله؟، وكيف يذل وعزته مع الله؟، وكيف يهان وكرامته مع الله؟ .

٣٩٣. لأولئك الذين خسروا أنفسهم: «أين شفعاؤكم؟»، أين أعمالكم التي تزعمون؟، كلها ليس لها ثمن ولا أثر ولا بقيّة؛ لأنكم تعلقتم بغير الله وعبدتم غير الله وأشركتم مع الله.

٣٩٤. خلق الله السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم لِحكم متعددة ومنها:

* تأكيد ألوهيته سبحانه وربوبيته.
* لتكون شواهد على أسماءه وصفاته.
* لبيان قدرته تعالى وعظمته.

* للتذكير بأن من خلقها قادر على خلق ما هو أعظم منها.
* للإخبار بأن ما ترونه من شواهد خلفه الكثير من الغيبيات.
* فيها دعوة للعباد بالتأمل والتدبر والاتعاظ وأخذ العبرة.
* فيها تذكير للعبد بأن الله خلق جميع هذه المخلوقات من أجله.

٣٩٥. في الآية جمع بين الآيات القرآنية والآيات الكونية فأنت تقرأ آيات بيّنات أنزلها الله تعالى في كتابه العظيم تتحدث عن آيات بيّنات خلقها الله تعالى في كونه الفسيح.

٣٩٦. من طرق الدعوة إلى الله تعالى والتأثير في الناس تأثيراً ايجابياً ربطهم بخالقهم، وتعريفهم به ودعوتهم لتدبر آياته ومخلوقاته، وبيان أن من أعظم طرق العبادة الحقّة لله، وأنّ من أهم أسباب الثبات على دين الله تعالى هو معرفة الله تعالى، والتدبر في آياته.

٣٩٧. السموات والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم جميعها تؤثر في الإنسان وهي ملازمة له في حياته وتعدّ من متطلبات العيش ولا تستقر حياته في الغالب إلا بها، لذا كان لزاماً أنها تذكّرة بالمنشأ والمآل، وساعة الولادة وساعة الموت، وأنّ هذه المخلوقات التي يدعونا الله تعالى إلى أن نتدبرها ونستفيد منها كذلك هي تذكرنا بالموت والقبر والبعث والنشور والميزان والموقف والنهر والقنطرة والصراط والجنة والنار.

٣٩٨. في الآية دعوة ضمنية لنا بالمبادرة، فالزمن لا ينتظر أحد والأيام تجري بسرعة، ودورانها يؤثر في السير والمسير، والمؤمن الحصيف هو الذي يبادر في دنياه بالأعمال الصالحة والطاعات والبر والإحسان ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾[1]،

(١) [سورة آل عمران: آية ١٣٣].

﴿سَابِقُوٓاْ﴾[1]، ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[3]، «بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا...»[4]، «اغتنِمْ خمسًا قبل خمسٍ...»[5]، «سَبَقَ المُفَرِّدُونَ...»[6]، «سَبَقَكَ بها عُكّاشَةُ...»[7].

٣٩٩. سخر الله هذه المخلوقات لنا، فحق علينا أن نشكره عليها ومن شكرنا لله عليها:

* أن نعيد خلقها وتكوينها لله تعالى. «نرد على الملحدين بذلك».
* أن لا نعبدها من دون الله.
* أن نطيل التدبر والتأمل فيها.
* أن نعرّف الناس بها، وهذا تعريف لهم به جَلَّ وَعَلَا.
* الشكر الدائم عليها.

❊❊❊

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾.

٤٠٠. بعد أن عرّف الله بنفسه بأنه الرب والإله والخالق والقادر الذي استوى على عرشه وسخر مخلوقاته العظيمة وأن له الخلق والأمر يأمر بعد هذا

(١) [سورة الحديد: آية ٢١].
(٢) [سورة الذاريات: آية ٥٠].
(٣) [سورة البقرة: آية ١٤٨].
(٤) صحيح مسلم (١١٨).
(٥) الترغيب والترهيب (٤/ ٢٠٣) [إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما]
(٦) صحيح مسلم (٢٦٧٦).
(٧) أخرجه البخاري (٦٥٤١) واللفظ له، ومسلم (٢٢٠).

التعريف عباده بأن يدعونه ويلجؤون إليه ويتضرعون له.

٤٠١. تتجلّى أهمية الدعاء وصدق الداعي حينما تتجلى عظمة المدعو.

٤٠٢. أمر الله تعالى عباده في هذا الموضوع بعبادة الدعاء دليل على أهمية هذه العبادة وفضلها.

٤٠٣. من خلق وقدّر واستوى على العرش وسخر المخلوقات العظيمة قادر على أن يستجيب لعبده الذي يدعوه.

٤٠٤. ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ولا تدعون غيره، فهو أدعى للإخلاص، وأصدق في الخضوع، وأعظم في الأجر، وأرجى في الإجابة.

٤٠٥. من فضائل التضرع لله في الدعاء:

* استشعار العبد لعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
* حسن ظن العبد بربه جَلَّ وَعَلَا.
* إيمان العبد بأن الله سيستجيب له الدعاء.
* أن العبد يدعو ربه بما شاء، ومتى شاء، وفي أي مكان شاء.
* أن العبد وهو يدعو ربه فيستجيب له يعلم أن لا فضل إلا لله.

٤٠٦. في الآية بيان فضل عبادات السر ومنها الدعاء.

٤٠٧. حرّم الله الاعتداء في الدعاء وصور الاعتداء في الدعاء كثير، وهذا يدل على عدل الله تعالى حتى في مسألة الدعاء.

❊❊❊

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

٤٠٨. حرّم الله تعالى الفساد وصوره شتّى ومنها:

* فساد الأخلاق.
* الفساد الأسري.
* الفساد المالي.
* الفساد الاجتماعي.
* الفساد الإعلامي. وغيرها.

٤٠٩. من أعظم الذنوب الإفساد بعد الإصلاح.

٤١٠. هناك من لا يعجبه صلاح الأفراد والمجتمعات والدول فيبدأ يخطط للإفساد ويغري به القوم ويسعى به في الأرض.

٤١١. الفساد في الأرض يدخل الخوف والقلق في قلوب أهل الإيمان فينصرفون داعين ربهم أن يصلح هذا الفساد.

٤١٢. في الآية بيان لرحمة الله الواسعة .

٤١٣. من ثمرات الإحسان نيل رحمة الله تعالى.

٤١٤. قرب رحمة الله تعالى من العبد تدعوه للعبادة الدائمة والعمل الصالح المتواصل.

❊❊❊

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧﴾.

٤١٥. أرسل الله الرياح لحكم عظيمة ومنها:

- كونها آية من آياته تستحق التدبر.
- لما فيها من الدلالة على قوته تعالى وقدرته.
- لكي تقلّ السحاب من مكان إلى مكان.
- للقاح الشجر.
- أنها جندي من جنود الله يعذب بها من يشاء.

٤١٦. من فضل الله تعالى على عباده إنزال المطر عليهم للاستفادة منه في الشرب والري والسقاية وزينة للأرض ومنه تنبت الأرض بالخيرات الكثيرة وغيرها.

٤١٧. من يتأمل إخراج الله للنبات من أعماق الأرض فسيذكر إخراج الموتى من القبور يوم القيامة.

❊❊❊

﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗاۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَشۡكُرُونَ ٥٨﴾.

٤١٨. البلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربه أي (يخرج طيبا)، وكذلك القلب الطيّب، والنفس الطيّبة والبيت الطيّب والمجتمع الطيّب والأمة الطيّبة يخرج نتاجها طيّبًا بإذن ربها.

٤١٩. البلد الطيّب هو الذي يقوم على ما أمر الله به من تحقيق للإيمان به وتقواه في السر والعلن وإعمال للطاعات وإقامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله.

٤٢٠. كل بلد لا يقام فيه شرع الله فهو بلد خبيث والعياذ بالله.

٤٢١. البلد الخبيث يخرج نباته بكل عسر ومشقة ونكد، وحصيلته بعد هذا كله أنّه نبات خبيث، وهكذا هي المعاصي والآثام التفكير فيها والقيام بها والإصرار عليها.

٤٢٢. البلد الطيب كالمؤمن،، والبلد الخبيث كالكافر.

٤٢٣. وهذا التفصيل يأتي من الله تعالى ليبيّن جَلَّوَعَلَا تصريفه للآيات حتى يعيها المؤمن ويدرك الحكمة منها ويعلم مآلاتها فيشكر الله جَلَّوَعَلَا عليها.

❊❊❊

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾.

٤٢٤. امتن الله جَلَّوَعَلَا في الآيات السابقة بإرساله للرياح وبما فيها من نعم على الإنسان والحيوان والبيئة فناسب هنا أن يمتنّ أيضًا بإرساله للرسل عليهم الصلاة والسلام وبيّن ما في إرساله للرسل من نجاة لأتباعهم وهلاك لأعدائهم يظهر ذلك جليًّا في سيرهم وقصصهم التي جاء ذكرها في القرآن الكريم.

٤٢٥. لا تستقر أرواح العباد إلا بذكر الله، ولا تطمئن نواحي البلاد إلا بالدعوة إلى الله، لذا كان الإصلاح وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٤٢٦. نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أول الرسل للبشر، وترتبط بسيرته الدعوية مجموعة من الأحداث العظيمة التي غيرت مجرى مسيرة الإنسان بشكل عام، ومن أهمها:

* الفترة الطويلة بين آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبين نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
* انتشار الأصنام في عهده.
* عدد سنوات دعوته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
* استخدامه للأساليب الدعوية المختلفة.
* بناؤه للسفينة على اليابسة.
* استهزاء قومه به.
* الطوفان العظيم.
* قصته المؤثرة مع ابنه الكافر.

٤٢٧. في الآيات مجموعة من الأساليب الدعوية التي استخدمها نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه، وهم تفاعلوا معه من خلالها ومنها:

* القول.
* النداء المباشر.
* إشعارهم بأنه منهم وهم منه.
* الأمر.
* بيان المآلات.
* إظهار الشفقة والخوف عليهم.
* الصبر على التهم الجارحة.

٤٢٨. خلاصة دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم وأتباعهم الدعوة إلى توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به.

❊❊❊

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾.

٤٢٩. ذكرت لفظة – الملأ – في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في مواقع عدة في القرآن الكريم وهم:

- الأتباع جميعهم.
- علية القوم.
- الملوك والأمراء والأسياد.
- كبار السن.
- أصحاب اللسان والبيان.

٤٣٠. ليس هناك أعظم من أن يتهمك الناس بشيء أنت منه براء، والأعظم من ذلك أن يكون سبب ذلك الاتهام هو دعوتك لهم للحق.

❊❊❊

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾.

٤٣١. رد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على قومه بقوله ﴿يَٰقَوْمِ﴾ وفيه هذا اللفظ لغة إيجابية يظهر فيها ما يلي:

- انتماءه لهم.
- حرصه عليهم.
- تواضعه معهم.

٤٣٢. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرد على قومه في اتهامهم له بالضلال بكل وضوح فيقول ﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾، فإذا ما اتهم المؤمن بشيء هو منه براء فعليه أن يدافع عن نفسه وأن يجلّي للناس الحقيقة، سواءً صدقوه أم لا.

٤٣٣. كل رسول أرسله الله تعالى لعباده يستحيل أن يوصف بالضلالة، فالرسالة من عند الله تعالى وهي منهج حق ولا يقوم بها إلا كل صادق أمين.

❊❊❊

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

٤٣٤. من صدق الداعية إلى الله:

- ❊ شفقته على المدعو وخوفه عليه وحرصه على حياته الأولى والآخرة.
- ❊ تعرضه للفتن ومنها استهزاء الناس به وسخريتهم منه وقذفه بأبشع الأوصاف وأقذر التهم من قبلهم.
- ❊ إخبار المدعوين بما خفي عليهم من أمور يعلمها عنهم محبة منه لهم.
- ❊ صراحته ووضوحه وشفافيّته وقوة حجته.

❊❊❊

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

٤٣٥. في أحايين كثيرة لا يقبل الناس أن يكون الناصح لهم منهم، إما حسداً له أو نكاية به، أو لمعرفتهم به وبأخلاقه وتاريخه، وعلى الداعية أن يتنبّه لمثل هذا الأمر لكي يتعامل معهم بالأسلوب المناسب.

٤٣٦. من ثمرات إتباع الناس للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وللدعاة بشكل عام:

* تحقيق التقوى في القلوب.
* الحذر من موعود الله.
* الفوز برحمة الله تعالى في الدارين.
* السلامة من عذاب الله تعالى في الدارين.

❊❊❊

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾.

٤٣٧. من آيات الله تعالى ومن جنوده العظيمة في قصة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (السفينة) وذلك في ما يلي:

* بناؤه لها على اليابسة.
* الأدوات التي استخدمها في البناء.
* قوتها وعظمتها.
* سيرها على الطوفان.
* اتساعها لكل من ركبها.
* استواءها على الجبل.
* كونها آية إلى يوم القيامة.

٤٣٨. لقد كانت السفينة نجاة لنوح ومن معه من المؤمنين وكذلك من الطير والوحش والأنعام وغيرهم، فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يبذل ما عنده

وأن يضحي بما يستطيع في دعوة الناس إلى الله تعالى، وإذا شعر بشيء من الإيذاء أو الترصّد أو المضايقة من أي شخص أو جهة فليتسلّح باليقين وليحسن الظن بربه، وأن الله لن يضيّعه، بل هو منقذه وناجيه من كل شر وبأس وفتنة.

٤٣٩. من أعظم أمراض القلوب قسوتها واستكبارها على الله وبعدها عنه، وعماها عن الحق والمعروف والفضيلة والبر نعوذ بالله من عمى البصيرة.

❋❋❋

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

٤٤٠. لا زال مسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أشدّه لتبليغ الناس الحق وسوقهم لطريق الجادة القويمة والصراط المستقيم، فما إن انتهينا من دعوة نوح لقومه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا وبدأنا في دعوة هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه وستسمر هذه الطريق، وسيستمر الماضون عليها من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يأتي دور نبينا محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهكذا يمضي من بعدهم من الصحابة والتابعين والمصلحين والدعاة إلى أن تقوم الساعة .

٤٤١. من صفات طريق الدعوة إلى الله أنّه طريق ممتدّ من أول رسول أرسله الله جَلَّ وَعَلَا إلى أن تقوم الساعة، قد يتغيّر حسب الوقائع والأزمات والأقوام والمعطيات لكنه باقٍ وأهل الدعوة والتبليغ والحسبة باقون ما بقي الخير والشر.

٤٤٢. الأخوة الحقيقية هي الأخوة في ذات الله، وأن تكون داعية لقومك إلى الخير فأنت الأخ المؤمن الصالح الصادق، حتى وإن كانت الأخوة من طرف واحد فقط،

٤٤٣. من أساليب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحريك مشاعر الناس ويظهر لنا هذا الأمر في هذه الآيات كما يلي:

* إشعارهم بأنه منهم وهم منه ﴿يَٰقَوۡمِ﴾.
* إخبارهم بطريق النجاة الوحيد ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾.
* ربطهم بخالقهم ورازقهم ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾.
* حوارهم بكل صدق ووضوح ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾[1] ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾[2].
* تعريفهم بأمور قد لا يعرفونها عنه ﴿رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾[3].
* تذكيرهم بنعم الله تعالى عليهم ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٦٩﴾[4].

٤٤٤. قد يكون تحرك مشاعر الناس إيجابياً وقد يكون العكس كما هو موضح في هذه الآيات، لكن المهم تحريك المشاعر وجلب الأنظار واستثارة الأسئلة.

٤٤٥. قد يحاربك المدعو أيها الداعية اليوم بكلمة أو فعل أو غيرها لكنه قد يكون معك غداً والسبب أنّك أشعلت في صدره جذوة إيمان كانت منطفئة يوما ما.

❋❋❋

(١) [سورة الأعراف: آية ٦٦].
(٢) [سورة الأعراف: آية ٦٧].
(٣) [سورة الأعراف: آية ٦٨].
(٤) [سورة الأعراف: آية ٦٩].

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾.

٤٤٦. من أكثر التهم التي يطلقها أهل الكفر والتكذيب والاستكبار والعناد رمي النبي أو المصلح أو الداعية إلى الله (بالسفه) كما في هذه الآيات، وهذا يكون لعدة أسباب:

* لإشعار المجتمع بأنهم أهل الفكر والعقل والصواب.
* أن مثل هؤلاء الأنبياء والرسل والدعاة ليسوا أهلاً للدعوة والتبليغ.
* لإسقاط صورهم ومكانتهم في مجتمعاتهم.
* أنهم اتخذوا طريق الدعوة إلى الله لتحقيق مصالحهم الدنيوية فقط.
* قد يكون السفه طريق للعبث والفوضى فهؤلاء الدعاة عبثيون فوضويون.

٤٤٧. الملأ الذين تحدّثوا مع هود إضافة إلى أنهم قد يكونوا أهل كبر وعلية في قومهم إلا أن الله وصفهم أيضاً بأنهم كفار.

❋❋❋

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

٤٤٨. هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرد على التهمة التي اتهمه بها قومه مثل ما فعل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه. إذا فهذا الأمر يعدّ أسلوباً نبوياً واضحاً.

٤٤٩. السفه صفة ذميمة تعني عدم الإدراك والتخبط في التصرفات وعدم وضع الأمور في أماكنها الصحيحة وهي لا تليق بالمؤمن فكيف تليق إذا بنبي مرسل.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾.

٤٥٠. من أجلّ وأعظم واجبات الرسل عليهم الصلاة والسلام تبليغ الرسالة.

٤٥١. النصيحة باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي من أعمل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يكون أهل دعوة ونصيحة.

٤٥٢. الناصح هو المخلص الصادق.

٤٥٣. لا يصلح مع النصيحة خيانة.

❊❊❊

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾.

٤٥٤. الأنبياء والرسل والمصلحون والدعاة يكررون دعوتهم إلى الناس بلزوم التقوى، وهذا يدل على أهميتها في حياة المؤمن.

٤٥٥. التذكير والإنذار من المواضيع العامة والمهمة في سورة الأعراف.

٤٥٦. ليس من العجيب وجود المصلحين في مجتمعاتهم وقيامهم بدورهم الوعظي والدعوي والتربوي لتلك المجتمعات.

٤٥٧. دراسة أحوال الأقوام الماضية والأمم السابقة والتأمل في أحوالها مواقفها وتعاملاتها مع الاستفادة منها والتدبّر فيها عبادة عظيمة وجليلة وفضائلها عديدة على الفرد والأمة.

٤٥٨. لكل من آتاه الله زيادة في العلم أو بسطة في المال أو قوة في الجسم أو قدرة

في التعامل فعليه أن يرد الفضل لله تعالى وحسب فهو المنعم جَلَّ وَعَلَا بكل ذلك لكي يكون من المفلحين في الدنيا والآخرة.

❋❋❋

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠ ﴾.

٤٥٩. من صفات الداعية المجيء إلى قومه والوصول إليهم وغشيانهم في أماكنهم ومنتدياتهم.

٤٦٠. قوم هود يستنكرون دعوته لهم بأن يعبدوا الله وحده وهذا الاستنكار فيه تجنّي واستكبار يضاف إلى كفرهم وطغيانهم.

٤٦١. وهم يعلنون أيضاً بعدم ترك عبادة ما كان يعبده آباءهم وفي هذا أيضاً اتباع منكر وتقليد مذموم.

٤٦٢. على الآباء دور مهم في تربيتهم لأبنائهم خاصة في أمور العقيدة والأحكام والأخلاق، فالأبناء يتأثرون بآبائهم وقد يكون هذا التأثر موصولاً حتى وإن كبروا وعقلوا، وانظر إلى تبعية قوم هود لأباءهم وولاءهم لما يعبدونه من دون الله.

٤٦٣. من طغيان قوم هود أيضاً تحدّيهم لرسول الله هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بأن يأتيهم بما وعدهم، وهذا تحدّي سافر يعلن عن ما تكنّه نفوسهم من تمرد وكفر وتكذيب.

❋❋❋

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾.

٤٦٤. كانت نتيجة تحدي قوم هود لهود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن أوقع الله عليهم الرجس وهو العذاب والغضب وهو السخط من الرب عَزَّوَجَلَّ.

٤٦٥. تنوع العذاب من الله تعالى يدل على عظم الذنب المُقترف.

٤٦٦. ما هو حظه من الدنيا ذلك الذي نال غضب الله وسخطه بسبب كفره ونفاقه وفسوقه.

٤٦٧. من المجادلة العقيمة والمحاورة السقيمة أن يجادل الكفار أنبياءهم في موضوع أصنامهم التي يعبدونها من دون الله تعالى.

٤٦٨. اهتم الكفار بأصنامهم حتى عبدوها من دون الله تعالى وقد وضعوا لها الأمكنة والأوقات والأسماء من أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان وهم موقنون مع ذلك كله أنها أصنام لا تنفع ولا تضر.

٤٦٩. كل جدال منكر في عبادة الأصنام عاقبته العذاب لذا توعّدهم هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن ينتظروا العذاب الأليم.

❋❋❋

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

٤٧٠. أنجى الله نبيه هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والذين معه من كيد الكفار ومن مجادلة المشركين برحمة منه جَلَّوَعَلَا، وما أعظم رحمة الله وما أجلّها من نعمة عظيمة لا يظفر بها إلا من رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

٤٧١. انتظر هود أن يحقق الله وعده وانتظر الذين كفروا من قومه ما وعدهم هود به فتحقق الوعد وقطع الله دابر الكفر وأهله الذين كذبوا واستكبروا وكفروا بالله.

❋❋❋

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾.

٤٧٢. الانتقال بين قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هذه السورة يوحي بعدة أمور:

- ربط القارئ بالأحداث، وتحفيزه لمتابعة تفاصيلها ومشاهدها.
- أن الهدف من دعوتهم عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم واحد وإن تعددت القصص وتكررت المواقف.
- حتى يعلم المؤمن أنّه مع تعدد الأقوام إلا أنهم اشتركوا في التكذيب والاستكبار.
- مع هذا الانتقال من قصة إلى قصة يجد المؤمن الداعية إلى الله تسلية له مما يحصل له من الأذى ومما يجد في الطريق من عقبات.
- لكل قوم طريقتهم في العيش وأسلوبهم في الحياة وتعاملهم مع الظروف والبيئات ومع هذا إلا أن الجميع مستهدفون من قبل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلوا إليهم ليدعونهم إلى التوحيد.
- من فوائد الاختلاف بين كل قصة وأخرى في النبي المرسل أو في القوم الذين أرسل عليهم أو في الطريقة المتبعة في الدعوة أو في الظروف

المحيطة أن الدعوة إلى الله قد تتنوع أساليبها وطرائقها تبعاً لحال الداعية أو المدعو أو المكان أو الزمان.

٤٧٣. قوم ثمود من الأقوام التي أنعم الله عليها بنعم كثيرة كغيرها من الأقوام، لكن الله قد بيّن أن هؤلاء القوم قد اشتهروا ببناء الأبنية العملاقة والكبيرة، والنحت في الصخور، وكانوا يمتازون بالعملقة؛ فكانت أجسادهم ضخمة وقوية جداً، وقد أشركوا بالله جَلَّ وَعَلَا وكذبوا بآياته فأرسل الله لهم نبيّه صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد يكون سبب تكذيب القوم لنبيّهم شعورهم بالكِبر والأنفة والتعالي لمّا كانوا أصحاب هذه الأبراج المشيّدة والبيوت العامرة والجبال الشاهقة، وهذا قد حصل من غيرهم كفرعون وقارون وغيرهم.

٤٧٤. قد يكون ما يملكه الإنسان من مال أو غيره داعٍ له لفعل المنكرات والمعاصي شعر بذلك أو لم يشعر، لذا فإن على الإنسان أن يستشعر أن الله هو الذي أعطاه وهو القادر على أن يأخذ منه ما أعطاه، فقد أعطى الله ثمود البنايات العالية التي نحتوها في رواسي الجبال ولمّا أحالوها إلى أنفسهم وكذبوا نبيّهم دمّر الله قريتهم.

٤٧٥. من عناد قوم صالح وتكذيبهم أن سألوه آية من عند ربه، وكانت الآية عبارة عن ناقة تخرج لهم من صخرة صمّاء على أن يؤمنوا بالله إن خرجت لهم ورأوها بأعينهم.

٤٧٦. خرجت لهم هذه الآية العظيمة وفي معيّتها آيات أخرى ومنها:

* أن الله أخرجها من صخرة صماء.
* خرجت وهي عشراء تتمخض، يتحرك جنينها بين جنبيها.
* كانت لها يوم مخصص تشرب فيه من البئر.

* وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، يحتلبونها فيملئون ما شاءوا من أوعيتهم وأوانيهم.
* وكانت تسرح في بعض تلك الأودية، ترد من فج، وتصدر من غيره؛ ليسعها؛ لأنها كانت تتضلع من الماء.
* وكانت على ما ذكر خلقًا هائلاً ومنظراً رائعًا، إذا مرت بأنعامهم نفرت منها.

٤٧٧. بيّن الله لهم أن هذه الناقة آية من عنده لذا فعليهم أن يقدّروا مكانة هذه الآية، وأن ينزلونها المنزلة التي تستحق، فيذرونها تأكل من الأرض ولا يمسّوها بسوء، وأن يتفكّروا في عظمتها وفي خلقها، لأن ذلك هو طريقهم إلى تعظيم خالقها وتوحيده بالعبادة وعد الإشراك به، وإن هم فعلوا العكس حصلت عليهم المصيبة والعذاب الأليم.

❋❋❋

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

٤٧٨. امتنّ الله على ثمود قوم صالح بمنن مهمة أخرى وهي:
* أن جعلهم خلفاء.
* أن جعل لهم سلف ليدّبروا ما حصل لهم وهم قوم عاد.
* بوّأ لهم الأرض أن سخّرها لمشاريعهم الدنيوية.
* جعلهم يتخذون من السهول قصور ومن الجبال بيوت.

٤٧٩. من شكر الله تعالى على ما أنعم به على عباده أن يتذاكروا تلك النعم .

❊❊❊

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥﴾.

٤٨٠. أهل الكفر والتكذيب يتعاملون مع الآخرين بمقاييس الدنيا كالقوة في الأجسام والأموال والمناصب، بعكس أهل الإيمان الذين يتعاملون بمقاييس الآخرة كالتقوى والإيمان.

٤٨١. وإن كنت أيها الداعية بين قومك ضعيفاً فأنت بإيمانك أقوى منهم.

٤٨٢. من آثار الإيمان بالله أنه يمنح صاحبه قوة في الحق ورسوخاً في الإيمان وثباتاً على الاستقامة.

٤٨٣. سؤال المستكبرين من ثمود قوم صالح للمستضعفين يجلّي تكبّرهم عليهم ويفضح شرورهم، فهم أيضاً يعلمون أن صالحاً مرسلُ من ربه ولكنهم يترفعون عن الاعتراف بذلك، بل ويهزؤون ممن يؤمن به.

٤٨٤. أجاب المستضعفون بأنهم يؤمنون بأن صالحاً مرسلُ من عند ربه، لذلك اتبعوا نهجه وهديه، وإجابتهم تلك تبيّن وإن كانوا ضعفاء في الحال إلا أنهم أقوياء في المقال.

❊❊❊

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾.

٤٨٥. لمّا سمع المستكبرون إجابة المستضعفين من قوم صالح أنهم آمنوا بما أرسل به، أعلنوا كفرهم بذلك في تعدّي سافر على الحق وأهله.

٤٨٦. اجتمع الاستكبار والكفر في قوم صالح وهذا يدل على سوء حالهم مع ربهم.

❊❊❊

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

٤٨٧. لم يقف قوم صالح في عداءهم لصالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند الكفر بما جاء به والاستكبار عليه بل تجاوزوا ذلك بأن تعدّوا على ناقة الله فعقروها.

٤٨٨. نوع آخر من الاستكبار يمارسه قوم صالح وهو (عتوّهم) أي استكبارهم عن أمر ربهم بانحرافهم عنه وعصيانهم له وتمردهم عليه.

٤٨٩. مع أنهم يؤمنون يقينًا بما جاء به صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا أنهم يدّعون كذبه لذا فهم يطلبون منه أن يأتي بذلك العذاب الذي وعدهم به إن هم كفروا وكذبوا .

❊❊❊

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾.

٤٩٠. جاءهم ما كانوا يطلبونه من صالح – العذاب الأليم – وهو عبارة عن رجفة الأرض وزلزلتها من تحتهم حتى جعلتهم جاثمين عليها.

٤٩١. لقد ارتجفت قلوبهم وتزلزلت أفئدتهم من عذاب الله قبل أن ترجف الأرض وتتزلزل من تحتهم نكاية بما فعلوه مع الرسول الذي أرسله الله إليهم ومع الآية التي جاء بها من عند ربه حتى وإن ادعوا أنهم غير آبهين بموعود الله.

❊❊❊

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

٤٩٢. أعرض صالح عن أولئك المستكبرين لأنهم معذبون من عند الله فوجب عليه الإعراض عنهم ومغادرته لقريتهم فإنهم قوم سوء لا يجالسون ولا يعاشرون.

٤٩٣. صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يبيّن لهم أن سبب حصول العذاب هو استكبارهم وتكذيبهم وأنه قد اجتهد في نصحهم لكنهم لا يحبون الناصحين.

٤٩٤. قيل أنه أخبرهم بذلك قبل حصول العذاب عليهم، وقيل أنه خاطبهم وهم موتى بعد العذاب، وقيل أنه أخبر بذلك لتعلم الأمم والأقوام من بعده، وأيّاً كان موعد الإخبار وطريقته المهم أن يصل لهم ماذا فعل معهم .

٤٩٥. على الداعية والمربي أن يجتهد في تبليغ الناس الحق والاستمرار في دعوتهم إليه حتى وإن علم أنهم لا يحبونه ولا يحبون نصحه.

❊❊❊

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾.

٤٩٦. بدأ لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دعوته لقومه بنهيهم عن منكر عظيم وفاحشة مبينة على غير عادة إخوانه المرسلين والذين بدأوا دعوتهم لأقوامهم بالتوحيد وألّا يتخذوا مع الله إلهـًا آخر ليعبدوه.

٤٩٧. الفاحشة التي أتى بها قوم لوط لم يسبق لأحد من قبلهم الإتيان بها وهذا يدل على كبير جرمها وعظيم ارتكابهم لها.

٤٩٨. في الآية ما يدل على عِظم خطر من ابتدع منكر وسنّ في الناس سنة سيئة،

فقد قام قوم لوط بعمل فاحشة لم يسبق لمن قبلهم القيام بها فعليهم إذاً وزرها ووزر من قام بها إلى يوم القيامة.

❊❊❊

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾.

٤٩٩. جاء هنا وصفُ اللهِ للفاحشة التي أتى بها قوم لوط، وتوضيحها هنا لكي يعلم الناس هذا المنكر العظيم فيجتنبوه.

٥٠٠. يتضح أن قوم لوط وهم يأتون بهذه الفاحشة المستهجنة والمستغربة قد انتكست فِطَرهم وانقلبت قلوبهم نحو الشر والفساد المبين.

٥٠١. لقد راعت الشريعة حاجة الإنسان الجنسيّة فسنّ الله النكاح، وهذا الأمر فيه ضبط لمشاعر الإنسان العاطفية والحياتية وإشباعاً لرغباته الجنسيّة والوجدانية، وهذا يغني ولله الحمد عن الفواحش والرذائل والخوض فيها.

٥٠٢. بالغ قوم لوط في إتيانهم الفاحشة وقيامهم بها حتى أسرفوا في ذلك فوصفهم الله بالمسرفين.

❊❊❊

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

٥٠٣. لقد أجاب القوم بأن حرضوا بعضهم بعضاً على إخراج لوط ومن معه من القرية، وهذا يدل على أن المنكر عام والفاحشة منتشرة وأن كثيراً من أهل القرية يمارسونها والعياذ بالله.

٥٠٤. من صفات أهل الباطل أنهم يرفضون من ينكر عليهم أو يأمرهم بالمعروف وقد يتطور هذا الأمر إلى أن يقصونه من أماكنهم ويطردونه من بيئتهم.

٥٠٥. اعترف قوم لوط بأن قيامهم بتلك الفاحشة المنكرة يعتبر نجاسة وقذارة منهم وأنهم يقبعون في مستنقعات الرذيلة وذلك حينما قالوا واعترفوا بأن لوط ومن معه أُناس يتطهرون من هذه الفاحشة القذرة.

٥٠٦. من صفات قوم لوط العناد والاستكبار والفوقية.

❋❋❋

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾.

٥٠٧. مهما تمالى عليك أهل الشر والفساد وأنت تدعوهم للحق والصلاح فاعلم أن الله منجيك من كيدهم وشرورهم.

٥٠٨. فساد الزوجة أمره عظيم على الزوج فكيف إذا كانت تلك الزوجة مشتركة مع أعداء زوجها عليه.

❋❋❋

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾.

٥٠٩. المطر جندي من جنود الله يسلّطه الله على من يشاء من عباده.

٥١٠. لكل من ابتلي بفاحشة قوم لوط اعتبروا مما حصل لهم من العذاب الأليم وتأملوا في عاقبتهم العظيمة.

٥١١. وصف الله تعالى قوم لوط هنا بوصف عظيم آخر وهو أنهم مجرمون والإجرام يدل على قسوة قلوبهم وبهيمية طباعهم وسفول اهتماماتهم وحاجاتهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥﴾.

٥١٢. في موقع آخر من الأرض اسمه مدين يرسل الله على أهلها وهم أصحاب الأيكة رسولاً من عنده اسمه شعيبًا وهو من قوم مدين وأخ لهم من النسب، وللأخ مكانة عظيمة عند إخوانه وبني عمومته وقومه إلا أن أهل مدين لم يراعوا تلك الأخوة كما سيأتي.

٥١٣. دعا شعيب قومه في الآية السابقة إلى التوحيد وكذلك إلى إصلاح بعض القضايا المهمّة بالنسبة لهم ولمجتمعهم.

٥١٤. مسألة تكرر الدعوة إلى التوحيد يدل على أنه أهم القضايا وأعظم الواجبات.

٥١٥. جاء الله بالبيّنة لتكون حافزاً لهم أن يؤمنوا بما جاء به شعيبًا من عند الله ودافعًا لهم ليصدقوه ويتبعوه.

٥١٦. البيّنة هي الحجة والدليل والبرهان التي تثبت صدق قائلها وتعزز من موقفه.

٥١٧. تمحورت دعوة شعيب لقومه بعد دعوتهم إلى التوحيد إلى القضايا التجارية والمالية والاقتصادية وهذا يدل على أنهم أصحاب رؤوس أموال أو أن لديهم أسواق تجارية كبرى أو أنّ مدينتهم مقر للقوافل السائرة بين البلاد والتي تمر عليهم، وأيًا كان السبب فما دعاهم له يعتبر مهم عندهم.

٥١٨. ومن الأمور التي أمر بها شعيبًا قومه هو الوفاء بالكيل والميزان لأنهم

كانوا لا يوفون بها، وعدم بخس الناس أشياءهم لأنهم كانوا يقلّلون من حق تلك الأشياء ومن قيمتها، ولعله رأى أيضاً فساداً اقتصادياً ومعاملات تجارية محرمة في أسواق قومه فسعى إلى إنكار ذلك الفساد وتلك المنكرات في الأسواق.

٥١٩. من أعظم مهلكات الأمم والمجتمعات الفساد الاقتصادي والمالي بأنواعه كعدم أداء الزكاة لمستحقيها وأكل المال الحرام والتعامل بالربى والغش والبيوع المحرمة والعبث في المكاييل والموازين وبخس الناس أشياءهم وغيرها.

٥٢٠. من آثار الفساد الاقتصادي والمالي في المجتمعات:

- ❊ حصول الفقر .
- ❊ غلاء الأسعار.
- ❊ انتشار المنكرات.
- ❊ جور السلطان.
- ❊ فقدان الثقة بين الناس.
- ❊ المشاكل الأسرية من أثر الأكل الحرام على أهل بيت آكله.
- ❊ العذاب العام من عند الله تعالى.

٥٢١. حذر شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه من الفساد في الأرض بعد إصلاحها لما في ذلك من خطر عظيم عليهم وعلى أرضهم، ويقصد بالفساد هنا ما يحصل منهم من تجاوزات ومنكرات في تجاراتهم وأسواقهم.

❊❊❊

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

٥٢٢. منكر آخر يمارسه أهل مدين وهو القعود للناس في كل طريق بهدف صدّهم عن سبيل الله تعالى، وهذا أسلوب من أساليب إبليس الذين اتخذوه لهم قدوة.

٥٢٣. هدف آخر لأهل مدين يريدون الوصول إليه من خلال صدّهم الناس عن سبيل الله وهو أنهم يبغونهم بعيدين عن الاستقامة ليكونوا أهل عوج وانحراف عن جادة الحق.

٥٢٤. يأمر شعيب قومه بأن يتذكروا نعمة من نعم الله تعالى عليهم وهي أنه كثّر في عددهم بعد أن كانوا قلة قليلة ولعلهم في ذلك يكونون أكثر أيضاً في الأرزاق والأموال والتجارات.

٥٢٥. كل أمر من الله للمؤمن هو خير له.

❋❋❋

﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾.

٥٢٦. معركة الحق والباطل قائمة إلى قيام الساعة والموفّق من كان مع الحق وأهله والمحروم من كان مع الباطل وأهله.

٥٢٧. الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو العدل ومن عدله أنه ناصر للمؤمنين وظهيراً لهم في جميع قضاياهم وحروبهم مع الباطل وأهله.

٥٢٨. الصبر في مقاومة الباطل وأهله عبادة عظيمة لما في مقاومتهم وحربهم من أذى كثير وبلاء عظيم تستلزم الصبر والمصابرة.

❊❊❊

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾.

٥٢٩. رفض أهل مدين دعوة شعيب لهم بل أصبحوا في ضيق من ذلك فأصبحوا يهددونه بأن يخرجوه من قريتهم إذا استمر في ذلك، أو يعود إلى ملتهم مشركًا فاسداً، وهذا أسلوب متكرر من أهل الكفر والاستكبار يمارسونه مع الدعاة إلى الله وأهل الإصلاح والدعوة.

٥٣٠. ما يلحق بالقدوة من أذىً أو سوء معاملة قد يلحق بأتباعه وهذا أيضًا من الابتلاء الذي يحصل للقدوة وكذلك الأتباع.

٥٣١. المؤمن الذي اطمئن قلبه بالإيمان واستقر فؤاده بالتقوى وسكنت جوارحه بالصالح من الأقوال والأفعال يكره أن ينحرف بعد استقامته أو أن ينتكس بعد قيامه أو أن يتبدّل ويتغيّر بعد ثباته.

❊❊❊

﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

٥٣٢. بعد دعوة أهل مدين لشعيب بالعودة إلى ملّتهم أعلن لهم أن طاعته لهم في هذا الأمر يعدّ افتراءً على الله وكذبًا الذي يستوجب العذاب من الله

تعالى، فكيف تريدون منّي العودة إلى ملتكم بعد أن أنجاني الله منها.

٥٣٣. الثبات عزيز، ومن أسباب حصوله عدم التأثر بوعود أهل الباطل أو الخوف من تهديداتهم.

٥٣٤. من صفات الداعية الناجح:

* الثبات على المنهج.
* عدم الاغترار بما يملكه أهل الباطل.
* عدم إجابة أهل الباطل إلى دعواتهم.
* عدم الخوف من الباطل أو من أهله.
* العزة بما يحمله من إيمان.
* التوكل على الله.
* الدعاء لنفسه بالتوفيق وللآخرين بالهداية والصلاح، وبأن يفتح في بينه وبينهم بالحق.

❋❋❋

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾.

٥٣٥. لمّا لم يجد أهل مدين إجابة شافية من شعيب توجهوا إلى قومه لينذرونهم ويحذرونهم وهذا يعني أن أهل الباطل لا يتركون طريقًا يستطيعون من خلاله أن يبثوا شرهم وفسادهم إلا اتخذوه طريقًا.

٥٣٦. الخسارة الحقيقية هي في اتباع أهل الشر والفساد والضلال.

❋❋❋

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

٥٣٧. عذب الله أهل مدين بالرجفة التي أخذتهم عن بكرة أبيهم لما أشركوا بالله وكذبوا نبيّه وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وسعوا إلى إغواء الناس وإضلالهم.

٥٣٨. جاء عليهم الصبح وهم على الأرض جاثمين خاسرين أمر دنياهم وآخرتهم.

❊❊❊

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾.

٥٣٩. جاء أهل مدين العذاب فكأنهم لم يقوموا في هذه الدنيا ساعة وكأنهم لم يجدوا فيها ربحًا أو غنىً، ليتحقق لهم الندم وتحصل عليهم الحسرة والخسارة.

❊❊❊

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

٥٤٠. أعرض شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن قومه بعد أن رأى ما حصل لهم من عذاب تبعه الخسارة والندامة وهو يؤكد عليهم أنه كان لهم ناصحًا صادقًا .

٥٤١. من كفر بالله وأعرض عنه وصدّ عن سبيله فلا حسرة عليه ولا شفقة له بعد أن يذّكر بالله ويحذّر من عذابه.

❊❊❊

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾.

٥٤٢. لكل قصة نهاية، ولكل حدث تبعات، وقد تبيّن الكثير من أحوال الأمم التي كذبت واستكبرت ومنها الأمم الخمس التي ذُكرت في السورة آنفـًا، وأن من نتائج التكذيب والاستكبار أن يرسل الله غضبه وعذابه في صور مختلفة ومتنوعة.

٥٤٣. من عدل الله تعالى أنه لا يعذب قوم حتى يرسل عليهم رسولاً من عنده يحذرهم وينذرهم.

٥٤٤. يتحدث الله هنا عن أهل القرى، وتحدث في مواضع أخرى عن القرية نفسها مثل قوله تعالى ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ...﴾[1] وهذا يعني أن القرى وأهلها معرضون للعذاب ومتأثرون منه، فأهل القرى يذوقون ما يؤثر على أجسادهم كالجوع والخوف والألم وغيرها، والقرى ينالها الجدب والقحط والزلزلة والهدم وغيرها.

٥٤٥. الله لا يعذب أحداً من عباده إلا لحكمة ومن الحكم في ذلك الكذب والاستكبار حتى يعوذوا عن غيّهم ويتوبوا من كذبهم واستكبارهم.

٥٤٦. من سنن الله تعالى تغيّر الأحوال وتقلّب الأزمان وتبدّل الأجواء والبيئات، ولله في ذلك حكمة أيضـًا، فهو ينعم على عباده ليبتليهم فإن شكروا أفلحوا وفازوا وإن كفروا خابوا وخسروا، والله يعطي عبده من النعيم العظيم حتى إذا اغترّ بذلك النعيم وأنساه ذكر ربه أخذه الله بغتة دون أن يشعر.

❋❋❋

(١) [سورة النحل: آية ١١٢].

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.

٥٤٧. كثير من الناس تغرّهم الدنيا بما فيها من لذات ومتع، وما علموا أنها خدّاعة غرّارة، لا يأمنها إلا جاهل بها.

٥٤٨. من فضل الله على كثير من عباده أنّه ينعم عليهم بالفضائل العديدة والمنح الفريدة فيكونون في رخاء وسعادة بسببها حتى تلهيهم عن شكر الله على هذه الفضائل والمنح فيقلب الله أحوالهم من السعة إلى الضيق ومن الغنى إلى الفقر ومن الحسنة إلى السيئة.

٥٤٩. الاعتداد بالآباء والأجداد في أمر باطل لا يجوز وهؤلاء القوم حين أصبحوا في وفرة وكثرة من لذائذ العيش يقولون في تكبرّ: وإن أصابتنا السراء أو الضراء فقد أصيب بها من قبلنا من الآباء والأجداد.

٥٥٠. كفران النعم معصية يعاقب الله مرتكبيها في الدنيا قبل الآخرة.

❊❊❊

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾.

٥٥١. وردت لفظة (الأخذ) في الآيات السابقة ثلاث مرات، مرة بقولة ﴿ أَخَذْنَآ ﴾[1] ومرتان بلفظ ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾، وأخذ الله أليم شديد.

٥٥٢. من أنواع الغفلة :

❊ الأمن من مكر الله.

(١) [سورة الأعراف: آية ٩٤].

* عدم استشعار مراقبته وإحاطته وعلمه.
* عدم تحقيق الإيمان والتقوى في القلوب.
* النوم.
* اللعب.

٥٥٣. من ثمرات التقوى البركة في العمر والعلم والعمل والولد والرزق.

٥٥٤. لا تتوقف بركات السماء على المطر فقط، بل إن من بركات السماء أن ينزل منها توفيق الله وبركته وهداه.

٥٥٥. من دلائل الخسران في الدنيا والآخرة الأمن من مكر الله.

❋❋❋

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾.

٥٥٦. من الأوقات التي يغفل الناس فيها عن الله حين يخلدون إلى فرشهم ويسكن الليل عليهم ويظنون أن لا رقيب عليهم ولا محيط بهم فيأمنون من كل شيء.

٥٥٧. على المؤمن أن يعْمر ليله بذكر الله وقراءة القرآن الكريم وأن يستشعر مراقبة الله تعالى له.

٥٥٨. عبادات الليل لا يعلم عنها في الغالب إلا الله تعالى فتعدّ من الخبايا التي تزيد في ثبات المؤمن على طاعة الله وتضفي عليه سعادة في حياته وأمنًا في قلبه وجوارحه.

❋❋❋

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

٥٥٩. كذلك وقت الضحى هو من الأوقات التي يكون فيها الناس مشغولون عن الله تعالى بلعب أو لهو أو غيرها من أعمال الناس الدنيوية فلا يتوقع الكثير منهم حصول المصيبة أو العذاب فيه لذلك لابد من الحذر من مكر الله في وقت الضحى واستثماره الاستثمار الذي يقرّب من الله عَزَّوَجَلَّ ومن ذلك ركعتي الضحى.

٥٦٠. في الآية ذم للعب الذي يشغل عن طاعة الله.

❋❋❋

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

٥٦١. على العبد أن لا يأمن من مكر الله في كل حال ومقال وفي كل زمان ومكان لأن الله تعالى رقيب على كل شيء ويعلم ما لا يعلمه الناس عنه وهو مقدر الأقدار ومسبّب الأسباب وبيده مقاليد الأمور وهو الذي إذا قال للشيء كن كان.

٥٦٢. من أسباب خسارة العبد في الدنيا والآخرة أنه أَمِنَ مكر الله.

❋❋❋

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

٥٦٣. الأمم تتأثر بعضها ببعض، ولكل خلف سلف، وما حصل للأقوام السابقة من عذاب نتيجة تكذيبهم واستكبارهم قد يحصل لمن بعدهم إذا هم كذبوا واستكبروا .

٥٦٤. من الوراثة وراثة الإنسان الطاعات وكذلك المعاصي والسيئات من سلفه، وكل وراثة لها جزاءها من الثواب والعقاب.

٥٦٥. على الآباء والأمهات وهم يسعون إلى أن لا تكون لهم ذرية ضعفاء أو فقراء أن يسعون أيضاً أن لا تكون لهم ذرية عصاة وفسقة.

٥٦٦. يجب على الأمم والأقوام والمجتمعات والأفراد الاعتبار مما يحصل لأسلافهم وسابقيهم

٥٦٧. قد يعذب الله أقواماً سلكوا نفس المسلك الخطير الذي سلكه سابقيهم فيعذبهم بنفس العذاب الذي عذبهم به.

٥٦٨. من آثار الذنوب والمعاصي حصول العذاب لمرتكبيها في الدنيا قبل الآخرة.

٥٦٩. الذنوب والمعاصي سبب في حصول العذاب العام.

٥٧٠. الطبع على القلوب من العذاب الأليم الذي يقع على العباد والذي تكون نتيجته عدم الفهم والبصيرة والسمع والاعتبار.

٥٧١. الطبع هنا فيه دلالة على شمولية العذاب على قلب الإنسان وقوة تأثيره عليه.

٥٧٢. اجتمع هنا لأولئك أمران:

* الإصابة بالذنب.
* الطباعة على القلب.

٥٧٣. من أساليب القرآن الكريم المؤثرة عرض أحوال الأمم السابقة عن طريق القصص والتي عَلِمَ من خلالها محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ جميع أحداثها وفصولها وأخذ منها العبر والعظات وكذلك أمته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من بعده.

٥٧٤. الله جَلَّوَعَلَا يبيّن لنبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن أولئك الأقوام التي تم ذكر شيء من أخبارها لك كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط إنما نذكرهم لك للعبرة والعظة .

٥٧٥. لقد أرسل الله تعالى لتلك الأقوام المكذبة والمستكبرة الأنبياء الدعاة المصلحون لينذرونهم ويحذرونهم إلا أنهم لم يؤمنوا بل كذبوا واستكبروا.

٥٧٦. وكما طبع الله على قلوب الكافرين السابقين فسيطبع الله على قلوب الكافرين اللاحقين الذين كذبوا بمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وبما جاء به .

٥٧٧. في الغالب جاءت الكثرة في القرآن الكريم على سبيل الذم.

٥٧٨. من خصائص الكافرين خيانة العهد وعدم الوفاء به والفسق والضلال.

❊❊❊

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

٥٧٩. قص اللهُ على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم قصص الأنبياء والأقوام الذين بعثوا إليهم لحكم عديدة ومنها:

- للعظة والعبرة.
- لتبليغ أمته بأخبارهم.
- للتسلية عند حصول المصائب والفتن.
- لحصول الفائدة والنفع.

٥٨٠. ما أعظم قصص الأنبياء وما فيها من أنباء وأخبار فهي مصدر مهم من مصادر التربية والتعليم، على المؤمن أن يقرأ ما فيها وأن يستقي من ثمراتها

وفوائدها، فهم القدوات الكبار وحريّ بالأمة كلها أن تكون لهم تبعاً.

٥٨١. القرى في القرآن الكريم تعني الأماكن التي سكنتها الأقوام ومنها قرى أرسل الله إليها الرسل عليهم الصلاة والسلام، والمقصد أن تلك القرى تأثرت سلباً لمّا أعرض أصحابها عن ما جاءت به الرسل، فهناك من القرى من أخذتها الرجفة ومنها من أخذتها الصيحة ومنها من سقط عليها العذاب من السماء وهكذا.

٥٨٢. كيف ترجو الإيمان من إنسان كفر وتمكّن الكفر من قلبه وأصبح يكذب بكل آية وبيّنة؟

٥٨٣. الطبع على القلب أشد من أن يعرض أو ينصرف، وهو يعني أن القلب أصبح خالياً تماماً من الإيمان أو الهدى أو التقوى.

❋❋❋

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

٥٨٤. لا عهد لكافر ولا منافق.

٥٨٥. الأكثريّة الخائنة والفاسدة تؤثر على المجتمع بأكمله.

٥٨٦. أيّ مجتمع ينتشر فيه الإعراض عن الله والتكذيب بما جاءت به الرسل هو مجتمع منبوذ ومنحرف ومهدد بعذاب الله القريب.

❋❋❋

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

٥٨٧. لا تنتهي حقبة من التاريخ فيها من المواعظ والأحداث تستحق أن يقف معها المؤمن اتّعاظاً واعتباراً إلا ويليها حقبة أخرى مليئة أيضاً من المواعظ والأحداث وفي ذلك :

* لفتة مهمة لأهميّة قصص الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مع أقوامهم.
* أن قصص الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ فيها المواعظ والعبر.
* أن قصص الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مصدر مهم من مصادر المؤمن في حياته.
* لهذه الحكم وغيرها يبعث الله الأنبياء والرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

٥٨٨. بعث الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى فرعون وقومه، وتعتبر قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من أعظم القصص وأطولها في القرآن الكريم، ولا تقف القصة عند موقف واحد لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أو موقفين بل قصة موسى تتحدث عن تفاصيل كثيرة ابتداءً من قبل أن يلد إلى أن توفاه الله جَلَّ وَعَلَا.

٥٨٩. يبعث الله الأنبياء لأقوامهم وهم متسلّحون بآيات الله المختلفة لأسباب ومنها:

* زيادة في بيان الحق.
* يتحدّى الله بها أهل الباطل.
* يستأنس بها من أراد الحق.
* تثبّت من يستدل بها على موقفه ورأيه.

٥٩٠. من معاني الظلم في القرآن الكريم الكفر والجحود، وهنا كفر فرعون وملأه بالآيات التي جاء بها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

٥٩١. عاقبة الظلم الخزي والعار والسفول.

٥٩٢. أمر الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن ينظر في مآل حال أولئك المفسدين الذين كفروا بآيات الله وجحدوا بها، حتى يعلم هو والذين آمنوا معه أن من حاد عن طريق الله وكفر بآياته وجحد بها مآله العذاب الأليم.

٥٩٣. من أعظم ما يوصف به من كفر بآيات الله وجحد بها أنه مفسد، والفساد هنا فساد الدين والعقيدة.

٥٩٤. هنا أمر مهم لنا جميعًا وهو وجوب التفكّر والتأمل في عاقبة أهل الكفر والجحود وأن عاقبتهم الذل والخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة فنحذر من طريقهم ومما يدعون إليه.

❋❋❋

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾.

٥٩٥. عرّف موسى بنفسه لفرعون حتى يَعِيَ فرعون ما يصنع ويدرك أن الأمر جدّ خطير وأن عليه أن يتّبع ويلزم لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس كأي أحد فإنما هو رسول من عند الله.

٥٩٦. على الداعية وهو يبلّغ دعوته للناس أن يعرف بنفسه لهم وأن يبيّن لهم أنه داعية إلى الله وأنه لا يريد إلا الإصلاح ما استطاع.

٥٩٧. في تعريف الداعية لنفسه للناس تقريب للمسافة التي بينه وبينهم، ويجعلهم أكثر استعداداً لتلقّي ما عنده والاستفادة منه.

❋❋❋

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾.

٥٩٨. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هنا يستكمل عملية التعريف بنفسه وعن السبب الذي جاء من أجله، وهو أنه جدير به وواجب عليه أن لا يقول على الله إلا الحق.

٥٩٩. من كبائر الذنوب ومن الأسباب الموجبة لدخول النار – والعياذ بالله – القول على الله بغير علم.

٦٠٠. حينما يقول الداعية على الله الحق فإنه يتبّع بذلك الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام الذين نهجوا هذا النهج القويم.

٦٠١. جاء موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببيّنة تثبت صدق ما جاء به لأنه يعلم أن فرعون وقومه سيسألونه عنها تكبّراً منهم وعناداً.

٦٠٢. في الآية دعوة من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون أن يخلّي بينه وبين بني إسرائيل وأن يخلّصهم من جبروته وطغيانه وقهره.

٦٠٣. من أسياد الأقوام وأعيانها من يكون حجر عثرة أمام صلاح أقوامهم وهداية أتباعهم، وهؤلاء عطفاً على أنهم أساءوا إلى أقوامهم وأتباعهم فهم أيضاً يتحملون وزر من منعوا عنه الخير ووقفوا بينه وبين الحق.

❊❊❊

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾.

٦٠٤. صورة أخرى من صور الكبر والظلم والجحود يستخدمها فرعون في حواره مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو طلبه له بأن يجيء بآية وإن كان هذا الأمر متوقع إلا أن في طياته الكبر والظلم.

٦٠٥. لقد قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الآيات السابقة قد جئتكم ببيّنة بمعنى أن فرعون يعلم بذلك سلفـًا، إلا أنه يسأله إياها إما تكبراً أو جحوداً أو إحراجـًا لموسى فقد لا يستطيع أن يأتي بها أو تحديـًا له في ذلك الموقف.

٦٠٦. قوله إن كنت من الصادقين توحي للقوم أن موسى غير صادق في ما قال وأنه ليس برسول، وهذا أسلوب آخر يستخدمه فرعون لإضعاف موقف موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٦٠٧. كم هي أساليب العصاة والمنافقين والكفار التي تشكك في الإسلام وفي القرآن الكريم وفي سنة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهؤلاء يجب التعامل معهم بالحجة والدليل والبرهان حتى يعلموا أن الإسلام دين حق وهداية وإصلاح فإن علموا ذلك وإلا فعلى الأقل يعلم أقوامهم حتى يبصروا طريق الحق فيتخذوه طريقـًا.

❊❊❊

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾.

٦٠٨. من أعظم آيات الله تعالى والتي كان لها شأن وتأثير وتعدّد ذكرها في القرآن الكريم في أحداث مختلفة عصا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٦٠٩. من أخبار عصا موسى:

* كان يتوكأ عليها.
* يهش بها على غنمه.
* ضرب بها الحجر فانبجست وتفجرت العيون ماءً.
* ألقى بها أمام فرعون وقومه فإذا هي ثعبان مبين.

* أمره الله أن يلقيها فألقاها فإذا هي تهتز كأنها جانّ.

* كان له فيها مآرب أخرى.

٦١٠. الآية التي مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عصاه التي معه ألقى بها أمام القوم فانقلبت إلى ثعبان حقيقي يراه الجميع.

٦١١. تحوّل الآية من عصا إلى ثعبان هو من أمر الله تعالى وليس لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فيه أي شأن مطلقاً.

٦١٢. في الآية بيان عظيم لقدرة الله تعالى وعظمته.

٦١٣. هذه الآية من خارج جسد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

❊❊❊

﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ ﴾.

٦١٤. آية أخرى يقدمها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لفرعون وقومه تثبت أنه رسول من رب العالمين، وهي أنه أخرج يده من جيبه بيضاء تخالف لون بقية جسده.

٦١٥. هذه الآية من جسد موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي ذلك بيان عظيم أيضاً لقدرة الله تعالى وعظمته.

❊❊❊

﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ١٠٩ ﴾.

٦١٦. هنا اشترك مجموعة من قوم فرعون في عملية الكفر والتكذيب بالآيات التي جاء بها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهم الملأ أصحاب الوجاهة والكلمة في مجتمع بني إسرائيل.

٦١٧. يظهر لنا مجدداً مدى تأثير أصحاب المقامات والوجاهات في توجيه أفكار الأقوام والشعوب، وكذلك تأثر العوام والسذّج من الناس بهم.

٦١٨. قد يكونون الملأ هم بطانة سيدهم فرعون وهم بذلك بطانة سوء.

٦١٩. أطلق الملأ تهمة قوية على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي أنه ساحر عليم بسحره ومتقن له.

٦٢٠. ما أكثر تلك التهم التي يطلقها أهل الكفر والنفاق على الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى المصلحين والمربين والدعاة سعياً منهم في إيقاف عجلة دعوتهم إلى الحق وإقفال الباب الذي بينهم وبين أقوامهم وشعوبهم.

❊❊❊

﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ ﴾.

٦٢١. تهمة أخرى يطلقها الملأ من قوم فرعون لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهي أنه يريد بسحره الذي ترونه أن يخرجكم من أرضكم مع أن التهمة باطلة أيضاً فهو لا يريد إلا أن يدعوكم إلى الحق ويسعى في إصلاحكم وإصلاح أرضكم من فساد وفرعون وملأه .

٦٢٢. في الآية بيان لأهمية الأرض التي يعيش عليها الناس ويقتاتون من خيراتها فهم لا يستطيعون أن يتنازلوا عن شبر واحد من أرضهم، ولأجل هذا السبب المهم استخدم الملأ الأرض كسلاح مهم يدغدغون به عقول الناس وقلوبهم حتى يقفوا معهم ضد كوسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودعوته.

٦٢٣. استخدم الملأ أيضاً أسلوب آخر في استقطاب تعاطف بني إسرائيل وهو إشراكهم في القرار وأن ما نحن فيه مسؤولية الجميع فماذا ترون أن نفعل في موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ وهذا الأسلوب يقوّي موقف فرعون وملأه أمام

موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ودعوته.

٦٢٤. طلب فرعون وملأه من بني إسرائيل أن يأمروا بما يرونه مناسباً في التعامل مع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهذا الأمر فيه بناء صف مجتمعي ضد دعوة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

❋❋❋

﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١﴾.

٦٢٥. أمر بنو إسرائيل فرعون وملأه بأن يؤجل اللقاء بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حتى يتسنى لهم فعل شيء، وأمروا كذلك بأن يرسل عسكره وأعوانه إلى المدائن والأمصار لجمع كل من يستطيع إيقاف موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ودعوته.

٦٢٦. يلاحظ تفاعل بنو إسرائيل في القضية التي لم تكن تشغل ابتداءً إلا فرعون وملأه القريبين منه فقط، وهذا يعني انتشار الضلال عند الجميع.

❋❋❋

﴿يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ١١٢﴾.

٦٢٧. هذا هو الهدف بالنسبة لهم في إرسال العساكر والأعوان إلى المدائن والأمصار وهو جمع السحرة وإخبارهم بالأمر المراد منهم وكذلك موعد اللقاء ومكانه.

٦٢٨. استخدام السحر من الأعمال المهمّة والمهن العظيمة في المجتمع الفرعوني لذلك يستخدمونه في جميع قضاياهم والدليل على ذلك انتشار السحر والسحرة وقوة تأثيره عندهم واعتمادهم عليه غالباً.

٦٢٩. في الآية دليل على مدى ما يحمله فرعون وقومه من حنق وغيظ على موسى وعَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعلى دعوته.

❊❊❊

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ ﴾.

٦٣٠. لما أقبل السحرة إلى فرعون ساوموه على ما سيقدمونه في حال انتصارهم على موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا دليل على أن حضورهم لا يعني اهتمامهم على مجتمعهم أو خوفهم على أمتهم بل من أجل الكسب والمصالح الخاصة، وهذا هو ديدن أهل الكفر والنفاق والفجور والشر في كل مكان وزمان.

٦٣١. يظهر من قولهم إن كنا نحن الغالبين عدم ثقتهم لا بأنفسهم ولا بسحرهم، حيث يفهم أنهم قد يكونوا الغالبين وقد يكونوا غير ذلك، وهذا يدل على أن الكافر والمنافق والعاصي أيضاً إذا كان في حرب مع الإيمان وأهله فإنه يخاف من موقفه المهزوز ومن بضاعته المزجاه.

❊❊❊

﴿ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾.

٦٣٢. أجابهم فرعون بالإيجاب، فهو لم يسعَ في دعوتهم إلا لهدف واضح وهو هزيمة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وما يحمله لهم من رسالة، وهو مستعد أن يقدّم كل ما يريده السحره في سبيل ذلك.

٦٣٣. أهل الكفر والنفاق والبدع والمعاصي مستعدّون لتقديم كل شي من أنفسهم وأموالهم في سبيل إسقاط راية الإيمان وحرب أصحابها وهذه حقيقة يجب على المؤمنين الاهتمام بها جيداً .

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾.

٦٣٤. النزال هنا بين مجموعة وشخص، السحرة بسحرهم وشرورهم وجمعهم أمام موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لوحده، وهنا يتجلّى لنا معنا الاعتصام بالله والركون إليه وصدق اللجأ به، فمهما كان عددهم ومهما كانت قوة سحرهم فإن الله معه هو وليّه وهو نعم المولى ونعم النصير.

٦٣٥. السحرة يبدأون النزال بعرض فيه شيء من الكبر والفوقية وهذا حالهم دائماً لكنهم هم الخاسرون في نهاية كل مشهد فالحق هو المنصور والغالب في النهاية.

❋❋❋

﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾.

٦٣٦. قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ألقوا حبالكم وعصيّكم أنتم أولاً والسبب في ذلك والله أعلم ثقته بالله جَلَّ وَعَلَا وأن ما لديه من آية سيكون لها النصر والتمكين على ما جاءوا به من السحر، وقد يكون السبب حتى يرى الناس سحرهم وأباطيلهم فيخيّل لهم أنه حقيقة فيخافون منها ويسترهبون من حقيقتها، فيلقي هو بعد ذلك آية ربه فتلقف سحرهم وأباطيلهم فيظهر كذبهم ومؤامراتهم فيعود الناس للحق والصواب.

٦٣٧. ما تراه العين يؤثر في القلب، فإذا رأت ما يفتنها فإن ذلك طريق لفتنة القلب وهو ملك الجوارح وسيّدها، ولقد رأى بنو إسرائيل بأعينهم سحر السحرة والذي تمثل أمامهم حقيقة ففتنت بذلك وفتنت بعدها قلوبهم حتى وقع فيها الخوف والرهبة.

٦٣٨. من آثار السحر العظيم تأثر الناس به وخوفهم منه والإيمان بمن جاء به، لذا على العلماء والدعاة تحذير الناس من السحر والسحرة وأنهم على باطل عظيم وشر مستطير ومن كبائر الذنوب الإيمان بهم أو تصديقهم أو الإتيان إليهم بسبب أو بدون سبب.

❋❋❋

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ ﴾.

٦٣٩. وحيُ الله لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أعظم دعم وأكبر عون له في مثل هذا الموقف الرهيب، وجاء هذا الدعم والعون نتيجة إيمان موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بربه وصدقه في التعامل معه واللجأ إليه.

٦٤٠. من عرف الله في الرخاء عرفه في البلاء.

٦٤١. من الملاحظ أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يفعل شيئًا كبيرًا كي يكسب الموقف فهو لم يفعل إلا أن ألقى العصا فقط، وبقية الأمر تكفّل الله به جَلَّ وَعَلَا.

٦٤٢. التقفت عصا موسى حبال السحرة وعصيّهم، بشكل فاجأ الجميع وأولهم السحرة أنفسهم، والتقفتها جميعًا بدون استثناء في منظر رهيب وملفت.

❋❋❋

﴿ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ ﴾.

٦٤٣. وقع الحق من السماء لأنه حق، وقع الحق من السماء لأنه من عند الله، وقع الحق من السماء لأنه سيطيح بالباطل وسيدمغه وسيهزم أصحابه وأعوانه.

٦٤٤. طالما فرح أهل الباطل بباطلهم واغتروا بمكرهم وكيدهم، وغشّهم طول زمانهم وهم في غيّهم وفسادهم، فوقع عليه الحق من عند ربهم، فأزهق به

باطلهم، ونكّس به راياتهم، وقهر به نفوسهم، وجدّد بهم حسرتهم.

❋❋❋

﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

٦٤٥. من أعظم نتائج اتباع الباطل الذلة والصغار في الدنيا والخزي والعار في الآخرة.

٦٤٦. انقلاب حال السحرة في نفس الزمان والمكان من تكبرهم وغرورهم إلى ذلتهم وصغارهم يدل على صدق ما رأوه من حقيقة، وأنهم وقفوا عاجزين عن فعل شيء، وأن الباطل أسرع ما يكون هزيمة وانحساراً وصغاراً إذا رأى الحق وأهله.

❋❋❋

﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾.

٦٤٧. بعد مشهد ظهور الحق وزهوق الباطل لم يعد في وسْع السحرة إلا أن يعترفوا بذنوبهم ويعودوا إلى ربهم، وهذا أجلّ وأعظم ما أنقذوا به أنفسهم من عذاب ربهم عَزَّوَجَلَّ.

٦٤٨. إلقاء السحرة بأجسادهم إلى الأرض، دليل على صدق توبتهم وعودتهم إلى ربهم.

٦٤٩. إلقاء العبد بنفسه من كونه واقفاً منتصباً إلى أن يكون ساجداً لربه فهو إلقاء أيضاً لكل ما يحمله قلبه من ذل وانكسار وخشوع وخضوع لربه عَزَّوَجَلَّ.

٦٥٠. أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد، ومن أعظم مواطن إجابة الدعاء السجود، وأعظم موقف يشعر فيه العبد بأنه عزيز بربه غني به مستسلماً له

صادقًا معه هو حينما يكون ساجداً له، فما كان من سحرة فرعون حينما ظهر لهم الحق وزهق باطلهم إلا أن يلقوا بأنفسهم ساجدين لربهم.

❋❋❋

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١﴾.

٦٥١. لما رأى السحرة علو الحق وزهوق الباطل لم يقف ذلك عند سجودهم فقط لربهم بل أظهروا إيمانهم به جَلَّ وَعَلَا معترفين به ومعلنين عنه أمام فرعون وملأه.

❋❋❋

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾.

٦٥٢. فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي أرسل موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ على فرعون وقومه، وهو رب الآية التي معه، وهو الذي أيّد نبيّه ونصره، وهو الذي أزهق الباطل وأهله.

❋❋❋

﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾.

٦٥٣. رأى فرعون ما حصل من السحرة وسمع ما قالوا من اعترافهم بالإيمان برب موسى وفرعون وقد عظم هذا الأمر عنده وأشكل عليه حتى أنه أغلظ عليهم الأمر بما يلي:

* غضب عليهم يوم أن آمنوا قبل أن يأذن لهم.

* تكبر عليهم.
* اتّهمهم بالمكر.
* اتّهمهم بأنهم قد تمالوا على ما فعلوه من قبل مع موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.
* اتّهمهم برغبتهم الخروج من المدينة.
* توعّدهم وهدّدهم مستقبلاً وأنهم سيعلمون ماذا سيفعل بهم.

٦٥٤. جبابرة الأرض لا يرعون حقاً ولا معتقداً ولا شعوراً ولا نفساً بل إنهم حين يبطشون فلا رحمة في قلوبهم لغيرهم.

٦٥٥. جبابرة الأرض يتملّكهم الخوف حينما يشعرون أن صوت غيرهم بدأ يصدح في الأفق معلناً عن موقفه الصامد والثابت تجاههم.

❊❊❊

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾.

٦٥٦. هذه هي الطريقة التي توعّد بها فرعون السحرة بعد أن أظهروا إيمانهم بربهم جَلَّ وَعَلَا وهي أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو العكس أي يخالف بينهما، ثم يقوم بصلبهم جميعاً ليكونوا عبرة لغيرهم، وهذا يدل على جبروته وعدوانيته وبطشه.

٦٥٧. يتضح من هذا التهديد ما يعانيه فرعون من غيظ وحنق وكره لموسى ومن معه من أهل الإيمان من بني إسرائيل لأنهم قد أثروه على أتباعه وغيروا في فكرهم ومنهجهم وسلبوا منه تبعيتهم له وانقيادهم لأمره، كذلك من سحرته الذين أمنوا برب موسى وفرعون وتركوه ودينه وملته.

❊❊❊

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

٦٥٨. موقف آخر من الذين أمنوا من سحرة فرعون وثبات منقطع النظير يقابلون به تهديد فرعون وهذه نتيجة الإيمان الصادق إذا خالط بشاشة القلوب.

٦٥٩. لسان حال أولئك الذين آمنوا بالله وكفروا بفرعون افعل بنا ما شئت واصنع فينا ما ترى، فنحن وإن طال بنا المقام في هذه الدنيا وإن عذبنا في سبيل ربنا فإنا إليه عَزَّوَجَلَّ منقلبون.

٦٦٠. المؤمن الحق هو الذي يعمل لأجل رضى الله وليس بعد رضاه إلا الجنة.

٦٦١. حينما يستشعر العبد ويعتقد جازمًا أن هذه الدنيا دار ممر إلى دار المقر فإنه لا يأبه بما يجده من عذاب أو غيره إذا كان ذلك في سبيل الله.

❋❋❋

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾.

٦٦٢. المؤمنون يخاطبون فرعون بكل صدق وجرأة، ما تنقم منا ولا تنكر علينا ولا تخاصمنا وتهددنا إلا يوم أن آمنا بربنا جَلَّوَعَلَا، وهذا ثبات منهم آخر وصدق في إيمانهم، واعتراف جلي بموقفهم الجديد.

٦٦٣. لقد آمن السحرة بربهم لما رأوا آيات الله تعالى تتجلى أمامهم حقيقة، وفرق بين آيات الله تعالى وبين سحر حبالهم وعصيّهم، وهذا يدل على أن الداعية عليه أن يتسلّح بآيات الله تعالى إذا دعا إلى سبيل ربه لأنها تقوّي موقفه وتؤثر في المدعوين بشكل كبير.

٦٦٤. من خاف من ضعف أو هوان أو انتكاسة أمام فتنة أو مصيبة فليسأل الله

تعالى الصبر والمصابرة.

٦٦٥. من أفضل ما يتقرب به العبد حال حصول الفتنة والمصيبة الصبر على ذلك واحتساب الأجر فيه.

٦٦٦. إذا أفرغ الله على عبده صبراً فلا ضيم يشكو منه ولا قهراً يعانيه ولا عذاباً يقاسيه بل ستنقلب كل تلك المآسي والمصائب إلى لذة يشعر بها المؤمن الصابر في دنياه وهي عاجل بشرى له في أخراه.

٦٦٧. سأل السحرة الذين آمنوا بربهم لاحقًا ربهم أمرين.

* أن يفرغ عليهم صبراً يواجهون به ما سيلحقهم من عذاب من فرعون وقومه.
* أن يتوفّاهم مسلمين.

٦٦٨. أن تسأل الله أن يتوفاك مسلماً فأنت تسأله الثبات على الحق حتى تلقاه وما أعظم ذلك وما أجله من سؤال.

❊❊❊

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

٦٦٩. لازال دور الملأ من قوم فرعون وهم بطانته الفاسدة دور فاسد وخبيث يكمن في التأليب والتحريض وبث الفتنة وإشاعة الفوضى، وهذا دليل على أثر البطانة الفاسدة والتي تعوّذ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منها.

٦٧٠. من أهم أسباب تحريض الملأ من قوم فرعون لفرعون على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعلى من آمن معه من السحرة وغيرهم ما يلي:

* شعورهم بأن هذا دورهم الصحيح على حد زعمهم.
* الخوف على مكانتهم ومصالحهم.
* طلباً في ودّ فرعون ومحبته لما يرى وقوفهم بجانبه وتأييدهم له.
* الخوف من مصيرهم في حال انتصار موسى ومن معه على فرعون وقومه.

٦٧١. لقد اتهم الملأ موسى ومن معه بالفساد في الأرض وهو أسلوب أهل الكفر والنفاق في تعاملهم مع المؤمنين فهم يقلبون الحقائق بكل وضاعة وخسّة، فيرمون أهل الإيمان بما هم منه أبرياء، ويبرئون أنفسهم مما هو لهم طريقة ومنهجاً.

٦٧٢. موقف فرعون وملأه من موسى ومن معه موقف عقدي بحت، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يدعو فرعون وملأه إلى عبادة الله وحده، وفرعون وملأه يدعون موسى ومن معه إلى عبادة فرعون وآلهته، لذا يتبيّن أن الحرب حرب عقيدة ودين، وليست حرب وطن أو وجود .

٦٧٣. من أعظم ما يشعر به الطاغية خطراً عليه حينما يتمرد أتباعه عليه وينسحبون من تبعيته، لذلك يقوم الملأ من قوم فرعون من تحذير فرعون من أنك إذا ما تعاملت مع موسى وقومه التعامل المناسب الذي يستحقونه فإنه وقومه والسحرة الذين آمنوا معه سيذرونك وآلهتك.

٦٧٤. بعد أن سمع فرعون ما سمع من تحذير وتنبيه قام بالتهديد والوعيد لموسى ومن آمن معه من بني إسرائيل، فهدد الأبناء الذكور بالقتل والنساء بالاستبقاء وبالقهر من فوقهم وهذه جميعها تدل مجددا على جبروته وقهره وبطشه

❊❊❊

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٦٧٥. إن من أعظم ما يمر به الداعية المسلم وهو يدعو قومه إلى الله رسائل التهديد وجوابات التخويف التي ترده من أعداء الدعوة إلى الله وأعداء الدعين إليها، فتكون سببًا في إيذاءه والتشفّي منه والوشاية به عند الغير وأعظم من ذلك تشكيك الناس فيه وإظهاره لهم أنه صاحب فتنة وأنه يدعو للفرقة والانقسام وأنه لا يجيد سوى التهييج وتحميس الناس وإثارتهم على بعضهم البعض.

٦٧٦. للبطانة (الملأ) أثر عظيم عند كبيرهم ففي بعض الأحوال يأمر بمشورتهم ويقرر قولهم، لذا وجب على كل مسؤول أن يتقي الله في اختيار بطانته ومستشاريه، وعلى المؤمنين أن يدعون الله لولي أمرهم بالبطانة الصالحة التي تدله على الخير وتعينه على فعله.

٦٧٧. مواقف الأنبياء والمصلحين والدعاة وثباتهم وكلماتهم وأفعالهم مهمّة وعظيمة عند حصول الاضطراب والتشويش لدى أتباعهم من قبل أعداءهم، لأن العامة حال الفتن تطيش عقولهم وتهتز قلوبهم وتتأرجح أركانهم ويصبحون حيارى لا يعلمون عن الحق ولا يدركون مواطن النجاة ولا يتقنون الحكمة في التصرفات والأفعال فإذا وجدوا من يعلمهم استمعوا لهم وإذا رأوا ثبات قدوتهم ثبتوا معه.

٦٧٨. الاستعانة بالله من وسائل الثبات وأهمها، ومن الاستعانة بالله المحافظة على الصلاة والدعاء والذكر والعمل الصالح وأعمال السر وغيرها، وهذه رسالة لكل مبتلى أو مكروب أو مهموم أو مديون – استعن بالله –.

٦٧٩. من صفاء عقيدة المؤمن أنه لا يستعين إلا بالله قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «**وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله**»[(١)]، ومن استعان بغير الله أشرك به.

٦٨٠. حين يطلب المؤمن العون من الله فهو يحقق حاجته لربه ويستشعر من خلال ذلك أنه ضعيف إلا بنصر الله فقير إلا بغنى الله مطرود إلا بحفظ الله ذليل إلا بعزة الله، وما أجمل هذا الشعور حين يعيشه المرء في حياته وعلى وجه الخصوص في الأيام العصيبة منها، فمن ثمرات ذلك الأمان النفسي والاطمئنان الحياتي والتفاؤل الجميل وحسن الظن بالله تعالى.

إن لم يكن عون من الله للفتى ... فأول ما يقضي عليه اجتهاده

٦٨١. ورد ذكر الصبر في سورة الأعراف أربع مرات في الآيات التالية:

* قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[(٢)].
* وقال تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[(٣)].
* وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾[(٤)].
* وقال: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٤)، والطبراني (١١/ ١٢٣) (١١٢٤٣)، والحاكم (٦٣٠٤).

(٢) [سورة الأعراف: آية ٨٧].

(٣) [سورة الأعراف: آية ١٢٦].

(٤) [سورة الأعراف: آية ١٢٨].

﴿كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧﴾[1].

* ونلاحظ ما يلي:

- جاء الأمر بالصبر في موضعين وبالدعاء به موضعًا واحداً وكونه نتيجة لحدث ما موضعًا واحداً.
- في المواضع الأربعة جميعها تتحدث عن صبر الأمم والأقوام وليس صبر الأفراد والذوات.
- ثلاثة مواضع جاءت في قصة موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وموضع واحد في قصة شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع أهل مدين.

٦٨٢. من نتائج الاستعانة بالله والصبر ميراث الأرض باطنها وظاهرها، وهو من أعظم ما يسعى إليه الإنسان بشكل عام لكونها تعتبر له غنيمة ومكسبًا، أما المؤمن على وحد الخصوص الذي لا يرجو إلا ما عند الله فهو لا يفرح بميراث الأرض إلا ليقيم فيها شعائر الله وتكون له عونًا في إقامته للعبادات والطاعات ويأمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر وينشر الحق ويقيم العدل ويحارب الباطل والظلم ويبني عليها دولة الإسلام.

٦٨٣. تكرر معنا موضوع التقوى في هذه السورة لكنها هنا تعتبر نتيجة من نتائج الاستعانة بالله والصبر عند الفتن.

❊❊❊

(١) [سورة الأعراف: آية ١٣٧].

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾.

٦٨٤. مع أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وعد قومه الأرض والعاقبة الحسنة إلا أنهم لازالوا يوضحون له أن معاناتهم قديمة وأن الأذى بهم قبل مجيئه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لهم، ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَا ﴾، وهذا يشير إلى حجم ألامهم وعِظَم كربهم والله المستعان.

٦٨٥. تشعر أن قوم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهم يوضحون له معاناتهم وألمهم تحيطهم مشاعر داخلية ومختلطة بين الحزن مما بهم والخوف من عدوهم والحسرة على ماضيهم والتشاؤم من مستقبل أيامهم.

٦٨٦. بعد أن سمع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مقالتهم تلك رد عليهم برد جامع مانع يعالج كل تلك المشاعر السلبية التي تعيش فيهم ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ومن رده أخرج بما يلي:

* دعا لهم ﴿عَسَىٰ ﴾.
* ذكّرهم بمقدّر تلك الأقدار عليهم ﴿رَبُّكُمۡ﴾.
* طمأنهم ﴿أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ ﴾.
* بشّرهم ﴿وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾.

٦٨٧. ونلاحظ أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عالج حزنهم وخوفهم وطمأنهم من عدوهم وبث التفاءل في مستقبل أيامهم في ردّه المختصر العجيب .

❊❊❊

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

٦٨٨. أخذ الله تعالى أليم شديد، ويجب الحذر منه ومن مكره، والبعد عن أسباب مقته وغضبه.

٦٨٩. لله جَلَّوَعَلَا جَلَّوَعَلَا أن يعذب عباده الكافرين بما يشاء نظير كفرهم وعنادهم وتجبّرهم ومن أنواع عذاباته أن يصيبهم بالفقر والشدة والقحط والسِّنة وهو ما عذب به آل فرعون .

٦٩٠. طالما افتخر فرعون لقومه بأرضه التي يعيش عليها وأنها أرض متميزة في الري والزراعة وافتخر بتلك الأنهار التي تجري من تحته وأنه مالك تلك الأرض كلها فكان عذاب الله له أن يسلب منه ذلك الفخر المزعوم والفوقية المقيتة بأن يأخذ تلك الأرض بالسِّنة والجدب والنقص في محصولها ونتاجها من الثمرات.

٦٩١. من أعظم أسباب نزول العذاب وحصوله أن يتذكر العباد ما كانوا فيه من استحلال للمحارم وتعدّي لحدود الله واقتراف للذنوب والمعاصي استحقوا بذلك كله العذاب الأليم، ولكي يتذكروا أيضاً أن من أسباب أمانهم وأمنهم وحصانتهم من عذاب الله هو التزامهم بطاعة ربهم وانقيادهم لأوامره واجتنابهم لنواهيه.

❊❊❊

﴿ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾.

٦٩٢. من أنواع الكبر والطغيان والغرور الاعتداد بالنفس والتباهي بالقوة

والادعاء بالخيرية المطلقة وإرجاع الحق والفضيلة للذات وهذا ما صنعه آل فرعون حينما متّعوا بالكسب والرزق والنعيم وقالوا إن هذا كله نظير منزلتنا ومكانتنا وفضلنا على غيرنا.

٦٩٣. استشعر أن ما أتاك الله من حسنة فمن عند الله لمّا آمنت وصدّقت واتّبعت وأن ما أتاك من سوء فمن نفسك لما كفرت وكذّبت وتمرّدت.

٦٩٤. حينما يصاب الكفار بسوء يعلّقون مسؤولية حصول ذلك السوء على الصالحين المصلحين من عباد الله تعالى وأولهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

٦٩٥. الطِيَرَة محرمة في الإسلام وهي التشاؤم المصاحب للنظرة السوداء القاتمة والتي تميل دائماً إلى الجانب المخيف أو المقلق في أي أمر من أمور الدنيا، وفي مقابلها التفاؤل المأمورون به في حياتنا والذي يجعلنا أعظم ثقة بربنا عَزَّوَجَلَّ وأكثر عملاً وإنجازاً.

٦٩٦. من هوان العبد وصغاره وفشله أن يعلّق هوانه وصغاره وفشله على الآخرين.

❋❋❋

﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾.

٦٩٧. لم يقف تكذيب آل فرعون بالآيات التي رأوها على الرغم من أنها من عند الله تعالى وأنه حقيقية وتثبت دعوة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم، بل زاد أمر تكذيبهم إلى الآيات التي قد يأتي بها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مستقبلاً.

٦٩٨. من طمس الله على قلبه فإنه لن يصدق ما يراه من الآيات والشواهد التي تدل على وحدانية الله تعالى وربوبيته عَزَّوَجَلَّ.

٦٩٩. على القدوة والمربي والداعية أن يستشعر أن من الناس من لا يؤمن بالله مطلقاً مهما أثبت له ذلك بالأدلة والآيات والبراهين، وأن هذا الأمر وكما هو ثقيل على النفس إلا أنه لا يمنع من تكرار المحاولة معه والاستمرار في دعوته والسعي في إصلاحه بصور متعددة وأساليب مختلفة.

❊❊❊

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (١٣٣) ﴾.

٧٠٠. أقرّ آل فرعون أنهم لن يؤمنوا يا موسى بالآيات مهما أتيت بها لهم وأريتهم إياها، فكان نتيجة ذلك الأمر أن أرسل الله تعالى مجموعة من الآيات إمّا أنّه أرسلها جميعاً في وقت واحد أو أنّه أرسلها في أوقات متتالية متعاقبة.

٧٠١. تنوّع آيات العذاب على أمّة من الأمم دليل على عظم كفرها وشدة انحرافها وكبر عنادها وقوة بطشها.

٧٠٢. الآيات الموضحة في الآية ما يلي:

- الطوفان وهو الماء فأغرق الله به أنفسهم وديارهم
- الجراد فأكل زروعهم ومحاصيلهم.
- القمّل فآذاهم في أبشارهم وأشعارهم.
- الضفادع فدخل في بيوتهم وفرشهم.
- الدم يخرج من أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأدبارهم.

٧٠٣. هذه الآيات العظيمة الجميع شعر بها وغدت معلومة مفصلة لديهم، وأصبحت واقعاً مشاهداً وحقيقة ملموسة لا مجال لأحد من الكافرين

المكذبين من آل فرعون أن ينكرها أو يجحدها.

٧٠٤. من صفات فرعون وملأه وأتباعه في القرآن الكريم أنهم مجرمون وهي تضاف على أنهم كافرين ومستكبرين ومكذبين وظالمين.

❊❊❊

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾.

٧٠٥. هذه الآية تأتي نتاجًا لأحداث سبقتها، وهذه الأحداث كثيرة ومتعددة وجامعها أنها عذاب من الله تعالى، وهو في الآية الرجز، سواء كان الطوفان أو الطاعون أو الآيات الخمس السابقة.

٧٠٦. قد يتنوّع عذاب الله عَزَّوَجَلَّ على الأمة الواحدة.

٧٠٧. قال ﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾ ولم يقل «آتاهم» ويظهر أن بين الكلمتين فرق في القوة والمباغتة.

٧٠٨. مفردة (رجز) ذكرت عشر مرات في القرآن الكريم، وخرجت بما يلي:

- أن الرجز مرتبط بالظلم.
- أن الرجز عذاب يأتي من السماء.
- أن للشيطان رجز.
- أن الرجز أليم.
- أن الرجز أقوال وأعمال شركيّة يجب هجرها.

٧٠٩. من خذلان أهل الكبر والجحود أنهم إذا شعروا بالهزيمة أو أحسّوا بالعذاب همّوا لخصومهم يسألونهم النجاة والإحسان إليهم، لأنهم

يعلمون بأن خصومهم على الحق ويعترفون أنهم هم الأحسن والأفضل، فها هم يسألون موسى أن يسأل ربه بما له من مكانة عنده هم يقرّون بها أن يكشف عنهم الرجز، ونستفيد هنا أن لا طائل للعبد من تشبثه بأهل الباطل ولا فائدة له من الانتماء لهم أو ولايتهم لهم بأي صورة من الصور لأنهم عند الكُرب لا ينفعون صاحبهم بل يتبرأون منه ومن ولايته لهم.

❋❋❋

﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾.

٧١٠. لقد وعد القوم موسى بأن يعودوا إلى إيمانهم وأن يخلوا بينه وبين بني إسرائيل إذ هو سأل ربه أن يكشف عنهم الرجز، لكن وعدهم كان وعداً كاذبًا كانوا فقط يريدون أن يُرفع العذاب عنهم ليعودوا إلى تكبرهم وطغيانهم بدليل ما جاء في الآية اللاحقة من أنهم لما رفع عنهم العذاب نكثوا الوعد.

٧١١. في كشف الله تعالى لهم الرجز نعمة منه عليهم بأن منحهم فرصة أخرى يعدّلوا مسارهم ويصححوا أخطاءهم إلا أنهم لم يعترفوا بتلك النعمة ولم يشكروا عليها فعادوا إلى ضلالهم وطغيانهم فانتقم الله منهم.

❋❋❋

﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

٧١٢. الانتقام هنا جاء مباغتًا ومباشراً لا خطوات قبله ولا مراحل تسبقه، وهذا دليل – والله أعلم– على غضب الله عليهم حينما منحهم الفرصة للعودة إلا أنهم تكبروا وطغوا مخادعة لله تعالى وتحايل عليه وإنكاث لوعدهم له ولنبيه.

٧١٣. جاء عذاب الله تعالى لهم على عدة صور:

* انتقم منهم بشدة.
* أغرقهم في اليم.
* أورث أرضهم لغيرهم.
* دمّر ما كانوا يصنعون ويعرشون.

٧١٤. من يتأمل أن ما حصل لفرعون وقومه من عذاب كان نتيجة لأمرين:

* تكذيبهم لآيات الله.
* غفلتهم عنها.

٧١٥. من غفلة المؤمن عدم ذكره لله أو قراءته لكتابه أو تدبّره لمخلوقاته أو الركون إلى الدنيا بأي شكل من الأشكال.

٧١٦. الماء آية من آيات الله جل وعز وجندي من جنوده، سخّره الله تعالى ليكون عذاباً لأقوام:

* فمن أغرق نفسه في بحور الباطل والكفر والعناد أغرقه الله في الماء.
* من تكبّر بأن الأنهار تجري من تحته ادّعاءً بأن ذلك من علمه وعمله وقدرته عذّبه الله بنفس الآية التي يدّعي أنها من تقديره وعلمه.

❊❊❊

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

٧١٧. لمّا عذب الله أهل الكفر والطغيان جعل لأهل الإيمان والذين كانوا

مستضعفين في الأرض فضائل عدّة تنكيلاً لأهل الطغيان وأجراً عاجلاً في الدنيا لأهل الإيمان وهي:

* أورثهم أرضهم وما تنتجه من خيرات لهم.
* تمّت كلمة ربهم الحسنى لهم بما صبروا.
* دمّر الله ما صنع أعداءهم وما كانوا يعرشون.

٧١٨. ما دمت بالله مؤمناً وبه مستعيناً وعليه متوكلاً فأنت قوي وإن استضعفك العباد أو استحقرك الخلق.

٧١٩. من صبر على إيذاء الكفار والمشركين والمنافقين له فهو المنتصر في النهاية الفائز في الخاتمة وإن طال الطريق وثقل الحِمل وتفاقمت المصيبة.

❊❊❊

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨﴾.

٧٢٠. مجاوزة بنو إسرائيل البحر ونجاتهم من عدوهم نعمة من الله عليهم امتنّ بها عليهم وهي تستحق الشكر الدائم والثناء المتصل منهم.

٧٢١. ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1]، فمن التجأ بالله وتوكل عليه ظانّاً به الظن الحسن فلن يضيّعه الله ولن يخذله.

٧٢٢. لك أن تتخيل فرحة موسى ومن معه من بني إسرائيل لمّا تحققوا من نجاتهم من عدوهم.

٧٢٣. من خصائص أهل الكفر والباطل تقديسهم لأصنامهم التي يعبدون،

(١) [سورة الحج: آية ٣٨].

والعكوف الوارد في الآية يدل على ذلك، لأن العكوف هو المكث الطويل اهتماماً وعناية.

٧٢٤. للباطل ورموزه تأثير قوي على القلوب والعقول، إذا لم يدرك المؤمن ذلك أصبح تبعاً لهم.

٧٢٥. لا يعني حصول الكافر على مكانة في الدنيا أو أنه يملك مالاً أو رخاءً أنه على الحق، ولا يعني عكوفهم عند أصنامهم أنه هدى أو تقى، بل إن ذلك كله من الاستدراج لهم من الله.

٧٢٦. من أعظم المعاصي التي يقع فيها العبد المؤمن تقليده الأعمى للكفار والمنافقين.

٧٢٧. الجهل آفة عظيمة، وعواقبه وخيمه، وأعظم منه من يدّعي العلم على جهل.

❋❋❋

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩﴾.

٧٢٨. موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يبيّن لبني إسرائيل أن هؤلاء القوم الذين يعكفون على أصنامهم وتريدون أن تكونون مثلهم لا يستحقون الاهتمام منكم والالتفات إليهم فضلاً على تقليدهم أو السير كسيرهم، فهم على إجرامهم وغيّهم وخذلانهم وتمردهم فاحذروهم.

❋❋❋

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾.

٧٢٩. من خذلان الله للعبد أن يركن إلى غير الله أو يعبد سواه على ما فضله الله به عن غيره.

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾.

٧٣٠. الله جَلَّوَعَلَا يمتنّ مرة أخرى على بني إسرائيل بأن أنجاهم من فرعون وقومه بعد سنوات عاشوها تحت سطوتهم قتلوا فيها أبناءهم وتعدّوا على نسائهم، ليذكرهم بأفضاله عليهم فلا يعبدون غيره ولا يعكفون على أصنام يعبدونها من دونه.

❊❊❊

﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾.

٧٣١. أنعم الله تعالى على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من بني إسرائيل بأن أنجاهم من عدوهم وأنقذهم من الغرق وكذلك بتعذيبه لعدوهم فكان على موسى الاعتراف بذلك لربه وشكره عليه، فضرب الله له موعداً يناجيه فيه.

٧٣٢. من فضائل مناجاة العبد لربه:

- إحياء العبادات القلبية كالمناجاة والحب والخوف والرجاء.
- بناء الخبايا الصالحة مع الله.
- دوام عبادة التفكّر والتدبّر.
- معية الله تعالى للعبد في خلوته وجلوته.
- تحقيق الإخلاص ومراقبة الله للعبد.
- تطهير القلب من كل ما يشوبه من رياء ونفاق.

٧٣٣. الوعد هنا فقط لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن أخية وبقية بني إسرائيل وهذا يدل على مكانة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ العظيمة عند ربه، وقد بيّن نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على هذه الأهمية في مواضع عدّة ومنها ما حصل له معه في قصة الإسراء والمعراج وحديث صيام يوم عاشوراء وغيرها.

٧٣٤. بيّن الله تعالى في الآية مدة الأجل بأربعين ليلة، فصلها بثلاثين ثم أتممها بعشر، وهي تحقيق للعدد الأربعين في مواضع أخرى من القرآن الكريم.

٧٣٥. اختار موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خلافته للقوم من بعده أخاه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفي هذا الاختيار وقفات:

* الأخ ليس كبقية الناس، فهو أكثر طوعًا لأخيه وحرصًا على ما يريد.
* لعل موسى رأى في هارون أمارات الخلافة فأمره بها.
* حاجة الناس لمن يقودهم ويرأسهم وذلك أقوى لكيانهم وأبقى لمجتمعهم وأكثر لحمة في صفوفهم.
* أمر موسى أخاه بإقامة الإصلاح بين الناس ومحاربة الفساد لأهميتها في تمكين الدولة وإرساء قواعد الحكم وكسب قلوب الناس وتأييدهم.
* بيان خطر اتّباع سبيل المفسدين.

❊❊❊

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ ﴾.

٧٣٦. إثبات كلام الله تعالى لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فهو كليم الله.

٧٣٧. عند أهل السنة والجماعة أن الله لا ولن يُرى في الدنيا، وأن أهل الجنّة سيرونه، ورؤيتهم له تعالى هي النعيم العظيم والزيادة الحسنة لهم في دار الرضوان، نسأل الله من فضله العظيم.

٧٣٨. يرسل الله الآيات للناس ويخوّفهم بها ليتذكّروا خالقهم فيعودون إليه ويقدّسونه ويسبّحون بحمده.

٧٣٩. فضل عبادة التوبة والاستغفار والاعتراف بالعبودية لله وبالإيمان به .

❊❊❊

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾.

٧٤٠. في الآية مزيّة أخرى للنبي موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ تدل على مكانته العظيمة عند ربه جَلَّ وَعَلَا، وهي اصطفاءه له على الناس بالرسالة وبكلامه له.

٧٤١. الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يمنّ على موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بهذا الاصطفاء العظيم .

٧٤٢. لله تعالى أن يصطفي ما يشاء من خلقه تميّزاً أو تكريماً، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾[2].

٧٤٣. ومما اصطفى الله تعالى من خلقه، الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليكونوا أفضل الخلق على الإطلاق، وأولوا العزم منهم، والنبي محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ليكون أفضل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ ليكونوا أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم

(١) [سورة النمل: آية ٥٩].
(٢) [سورة البقرة: آية ١٣٢].

الصلاة والسلام، وأبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، والخلفاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والعشرة المبشرون بالجنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأهل بدر وأصحاب الشجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهكذا.

٧٤٤. أمر الله جَلَّ وَعَلَا نبيّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن يأخذ ما أتاه بقوّة وفي هذه ما يلي:

* وجوب الاستجابة لأمر الله تعالى.
* الأخذ هنا استقبال الوحي ومن ثم العمل به أولاً ثم تبليغ الناس به.
* لابد أن يكون الأخذ بالقوة أي بشدة التمسّك والالتزام والاستقامة والصدق في التبليغ والدعوة.

٧٤٥. فرق بين من يأخذ الكتاب بقوة ومن يأخذه بضعف.

٧٤٦. أخذ الكتاب بقوة يعني أن رسالة الله رسالة حق لا ضعف فيها، والحق أحق أن يحمله الأقوياء الأشداء الذين يعملون على العمل به وتبليغه للناس بكل صدق وإخلاص دون ملل أو كلل أو خوف أو تقصير أو ضعف.

٧٤٧. الله جَلَّ وَعَلَا يمتنّ ثانية على نبيّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه أعطاه ما آتاه من رسالات فعليه أن يأخذها بقوة وأن يشكر الله على هذه النعمة العظيمة.

❊❊❊

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾.

٧٤٨. الألواح المقدسة هي التي كتب الله عليها جميع رسالاته بما تتضمنه من أحكام وشرائع وعبادات ومعاملات وأخلاق وأمر موسى أن يبلغها للناس عن طريق هذه الألواح.

٧٤٩. كتب العلماء عن تفاصيل هذه الألواح (أصلها، ألوانها، أطوالها، طريقة الكتابة عليها...الخ)، والذي يهمّنا هنا هو أنها ألواح مقدسة كتب الله عليها رسالاته وأن الله تعالى أمر نبيه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأن يأخذها بقوة وأن يأمر قومه بأن يأخذوا بأحسنها.

٧٥٠. يبيّن الله تعالى أنه سيري موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ديار أهل الفسق، وقيل عنها أنها جهنم، وقيل أنها ديار فرعون، وقيل غيرها.

٧٥١. الحكمة من رؤية ديار الفاسقين العظة والعبرة.

❋❋❋

﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ ﴾.

٧٥٢. بعد أن بيّن الله جَلَّ وَعَلَا ما حلّ بفرعون وقومه من العذاب الأليم، بيّن هنا أن ذلك ما حصل لهم لولا تكبّرهم في الأرض وإعراضهم عن الحق.

٧٥٣. ﴿ سَأَصۡرِفُ ﴾ أي سأجعل الأسباب التي من خلالها يكون العبد بعيداً عن طاعتي متنكبًا عن طريقي.

٧٥٤. لفظة ﴿ يَتَكَبَّرُونَ ﴾ جاءت مرة واحدة بهذا اللفظ في القرآن الكريم، وهو فعل يدل على الاستمرارية والتتابع، بمعنى أن ما ورد في الآيات نتيجة لهذا الاستكبار لا يختص به فرعون وقومه وحسب بل هو موجّه لكل من اتصف بهذه الصفة القبيحة إلى يوم القيامة.

٧٥٥. الأرض كما هي مكان للعبادة وإقامة الطاعات فهي أيضًا مكان للاستكبار والتكذيب.

٧٥٦. كل تكبّر في الأرض يكون بغير الحق، وليس هناك تكبّر بحق.

٧٥٧. من آثار الكبر :

* أنه من صفات الشيطان.
* أنه من صفات أهل الكفر والنفاق.
* أن أصحابه هم أراذل الناس يوم القيامة.
* أن أصحابه مصروفون عن طاعة الله جَلَّوَعَلَا.
* أن مآل أصحابه الخلود في النار والعياذ بالله.

٧٥٨. كل من صدّ عن سبيل الله ومنع من طاعته وصرف عن التقرب منه فهو متكبر في الأرض بغير الحق، وهذا الأمر عظيم لو استشعر المتكبر مآله وعاقبته.

٧٥٩. من أعظم الخزي والخذلان للعبد الذي انصرف عن الله وزاغ عن الحق أن يصرف الله قلبه عن الطاعة والعبادة والذكر وأن يزيغه عن الحق.

٧٦٠. العبد أمامه سبيلان يراهما بقلبه وعينيه: سبيل الرشد وسبيل الغي، وقد بيّن الله منهاج وعاقبة كل سبيل، والموفق من اختار سبيل الرشد والمحروم من اختار سبيل الغي.

٧٦١. صفات المستكبرين في الآية:

* ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ جهلاً منهم، أو استخفافاً بما يرونه من الآيات، أو تعامياً وتغافلاً عنها، أو شكاً منهم في حقيقة تلك الآيات، أو لسوء فهمهم.
* ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ وهذا من الإعراض الممقوت، فهم ينفرون من الحق ومن أهله وأتباعه ويتنكّبون عن طريقه.

* ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ويسارعون إليه ويأنسون به ويدعون إليه، ومن وصل إلى هذه المرحلة فقد طبع الله على قلبه وختم على سمعه وبصره والعياذ بالله.

٧٦٢. كل من حارب الحق وأهله فهو مستكبر وكذاب، ومن تأمل في أحوال الأقوام التي أرسل الله إليها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام رأيتهم يتّصفون بهاتين الصفيتين المذمومتين.

٧٦٣. من تأمل في سيرة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يدرك ما كانت عليه قريش من الجور والظلم والكذب والاستكبار، فقد أعرضوا عن رسالة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكذبوه ونالوا منه بأنواع العذاب والاستهزاء والتكذيب، مرة باسم الشرف والاسم ومرة بقدر المكان والمكانة ومرة بأهمية الحجر والصنم وهكذا دواليك.

٧٦٤. الغفلة .. تكررت معنا في سورة الأعراف، وهذا يدل على عِظَمِ أثرها على حياة العبد سلباً.

❊❊❊

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾.

٧٦٥. الآية تبيّن السبب المهم والجوهري من استكبار الأقوام وتعاليهم على أنبياءهم ورسالاتهم المقدسة ألا وهو تكذيبهم بها وعدم قناعتهم بما جاء فيها وثقتهم بأن لديهم أفضل منها ومضموناً أعظم من مضمونها.

٧٦٦. من نتائج التكذيب بالآيات :

* أنه طريق للكبر.
* أن يحبط عمله.
* الإعراض عن ذكر الله.
* التخبط والحيرة.
* العذاب الأليم يوم القيامة.

٧٦٧. من عامل الله جَلَّوَعَلَا بالكبر والتكذيب عامله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى بالعذاب العظيم فالجزاء من جنس العمل.

❋❋❋

﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾.

٧٦٨. أضيف القوم إلى موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لأنهم من سافر معه وكانوا هم الأقرب إليه وهم من آمن به وبدعوته وبينهم وبينه من العلاقة ما ليس للآخرين من بني إسرائيل.

٧٦٩. الأقوام المغرضة لا تألوا جهداً في إثارة الفتن ونشر الشر مستغلين بذلك الفرص المواتية لهم، فقوم موسى لمّا غادرهم موسى عَلَيْهِمٱلسَّلَامُ وكانوا في فسحة من أمرهم بدأوا في إغواء الناس وبث شرورهم.

٧٧٠. غياب القدوة عن مجتمعه لأي سبب كان يؤثر ذلك سلباً على من بعده، لعدم وجوده بينهم موجّهاً ومربياً ومرشداً.

٧٧١. على أهل الخير أن يستثمروا الفرص المتاحة لهم وأن يعملوا على تفعيلها التفعيل الإيجابي لصالح الحق الذي يؤمنوا به.

٧٧٢. ما هي الأسباب التي جعلت قوم موسى يتخذون لهم إلها غير الله؟ قد يكون ذلك تكبراً منهم على ما جاء به موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من عند ربه أو شك في ما جاء به، أو استخفافاً بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لغيابه وبهارون عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لضعفه، أو اعتقاداً بقوة ما اتخذوه إلهاً من دون الله، أو افتتانهم بالحلي التي صنعوه بها وبصوت الخوار الذي يصدر من العجل ظناً منهم أنه صوت العجل الحقيقي، وهذا كله يدل على ضعف عقولهم وقلة حيلتهم واستحواذ الشيطان عليهم.

٧٧٣. لقد وقع قوم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الشرك وهذا الأمر عظيم جداً، فمع أنهم قد آمنوا بما جاء به موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلا أنهم افتتنوا بالعجل وبما ألبسوه من حليّ، وهذا يفيدنا بأن لا يأمن المؤمن على نفسه الفتنة وأن يكون على حذر من تزيين الناس لها ودعوتهم له إليها.

٧٧٤. جمع قوم موسى الحليّ ليصنعوا منها العجل استغلالاً منهم للمقدرات التي يملكونها والأشياء التي باستطاعتهم الاستفادة منها.

٧٧٥. أهل الحق يملكون أشياء عظيمة ومقدرات متميزة كصحة المنهج وقوة الدليل ومصداقية القدوة ووضوح الهدف يستطيعون من خلالها بيان كلمتهم ونشر دعوتهم.

٧٧٦. العوام تغريهم الأشياء ويفتنهم الجديد وكل ما أضيف على هذه الأشياء ما يزيّنها أو يحلّيها كانت أكثر إغواء وفتنة للناس، فقوم موسى لما اتخذوا العجل جعلوه من نفيس أموالهم وجعلوا له صوتاً يصدر منه (الخوار) ليكون أكثر تأثيراً وإغواءً وفتنة.

٧٧٧. يبدو أن قوم موسى بعد أن اتخذوا العجل آلهة أصبحوا يطوفون به ويدعونه باسمه ويقدمون له القرابين وهذه كلها من صور الشرك بالله وهذا ما جعلهم يحيدون عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعن ما يدعوهم إليه من توحيد الله وعدم الإشراك به.

٧٧٨. صفات الإله الذي اتخذه قوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

* عجل .. وهو من أقل الحيوانات مكانة.
* جسد .. أي كائن مصنوع.
* له خوار .. صوت يصدره الهواء من خلال العجل، وليس صوت العجل نفسه كما يدّعون.
* اتخذه القوم أي هم من صنعه، وكيف يُعبد إله صنعه الخلق؟؟!!
* صنعوه من حليّهم ليكون أكثر تأثيراً على من يشاهده، وأكثر جمالاً ورونقاً.

٧٧٩. من صور الجهل عند قوم موسى في هذه القصة :

* أنهم اتخذوا عجلاً من الحليّ .
* اعتقادهم بأن هذا العجل إله.
* عبادتهم للعجل.
* شركهم العجل بالله تعالى.
* افتتانهم بصوت العجل.
* أنهم يعلمون أنه لا يكلمهم.
* أنهم يعلمون أنه لا يهديهم سبيلا.
* ظلمهم لأنفسهم.

٧٨٠. كم هم أولئك الذين اتبعوا أهواءهم وانقادوا خلف شهواتهم وشبهاتهم وأطاعوا الشيطان الرجيم حتى أودت جميعها بهم إلى مستنقعات الشرك والكفر والنفاق.

٧٨١. من ظلم الإنسان لنفسه أن يضع الأمور في غير موضعها الصحيح ومن ثم يؤمن بذلك معتقداً صحة فعله، وأن يجعل نفسه رهينة للأهواء وأسيرة للشبهات والشهوات.

٧٨٢. في هذه القصة اشتركت مجموعة من الأشياء في الإغواء والفتنة وإن كانت كلها من تدبير قوم موسى وخططهم ومن هذه الأشياء (الحليّ، الجسد، الخوار، الإنسان).

٧٨٣. العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومع ذلك كان له أثر عظيم في ضلالتهم، فكيف بمن لديه القدرة على الكلام والتأثير بصوته أو فعله، ويخبرهم بسبيله أو طريقته لا شك أن ذلك أعظم تأثيراً وأقوى أثراً.

❊❊❊

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾.

٧٨٤. انتبه قوم موسى للأمر العظيم الذي اقترفوه وللشرك الذي اتخذوه فعادوا إلى أنفسهم بكل حسرة وندم حتى أنه أسقط في أيديهم الأمر من فداحته وعظمته.

٧٨٥. من أقوى الأدلة على أن قوم موسى ضلوا هو اعترافهم أنفسهم بذلك وندمهم عليه.

٧٨٦. رحمة الله قريبة من المحسنين بعيدة من الضالين المضلّين.

٧٨٧. من علامات خسارة العبد في الدنيا والآخرة عدم رحمة الله له وعدم مغفرته لذنوبه ومعاصيه . نسأل الله العافية

❊❊❊

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٧٨٨. ظهور الغضب والأسف على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دلالة على عظم الخطب وفداحة الأمر الذي قام به قومه في غيابه، وما قاموا به منكر عظيم فقد اتخذوا العجل إله، وأي ذنب أعظم من الشرك بالله.

٧٨٩. الغضب صفة مذمومة وآثاره السلبية كثيرة وخطيرة إلا الغضب الذي من أجل الله حال الدفاع عن دينه أو كتابه أو رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٧٩٠. غضب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقف في صدره فقط أو تشكّل على رسمات وجهه بل تكوّن على النحو التالي:

- مع ذاته:
  - غضبان.
  - متأسف على ما حصل.
- مع قومه :
  - عاتبهم. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾.
  - أنكر عليهم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

* مع الألواح: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾.
* مع أخيه: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ﴾.

٧٩١. من أعظم ما يقع على قلب القائد والإمام ألمًا وحزنًا تخلّف الأتباع عنه وتمردهم عليه خاصة إن كان هو على الحق وتمردهم هم وتخلّفهم من أجل الباطل.

٧٩٢. كل استعجال للحرام حرام.

٧٩٣. إلقاء موسى للألواح ليس تهاونًا منه فهي ألواح مقدسة مكتوب فيها الإنجيل الذي أنزله الله على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفي هذا تنبيه مهم على احترام كتاب الله وتقديسه وعدم العبث به .

٧٩٤. يجوز العتب واللوم بين الأخوة خاصة إذا كان الأمر جلل، فلابد أن يدعو كل منهم الآخر للخير، ويدلّه عليه، ويسوقه إليه.

٧٩٥. هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقوم بعدة محاولات لتطفئة غضب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كالتالي:

* يذكرة بعلاقة الرحم التي بينه وبينه ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾.
* يبيّن السبب الذي جعله لا ينكر على القوم اتخاذهم العجل إله. ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾.
* خوفه من نتيجة الإنكار. ﴿وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾.
* يذكره بأن هناك أعداء لهما يرون ما يحصل. ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾.
* طلب منه أن لا يصنّفه ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

٧٩٦. إذا لم يكن صاحب الرسالة قوي في رسالته وحجته وموقفه فإن أعداءه

سيستضعفونه فيخسر رسالته وموقفه.

٧٩٧. من كانت له رسالة حقيقية ومؤثرة حتماً سيكون له أعداء متربّصون له، وهو يجهزون له في كل موقف بكل وسيلة متاحة لإضعافه أو تنحيته أو تصفيته.

٧٩٨. من أعظم ما استعاذ منه محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شماتة الأعداء وهي صفة ذميمة لا يتصف بها إلا أراذل الناس أصحاب القلوب الحاقدة والبغيضة.

٧٩٩. ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ قاعدة تربوية مهمة في علاقة المؤمن مع إخوانه، فلا يتعدى عليهم بقول أو فعل أمام المتربصين من الأعداء، ولا يجعل للخصوم فرصة للاستهزاء والشماتة به وبإخوانه، وليسعى الجميع في معالجة أوضاعهم وحل مشاكلهم بعيداً عن من يريد استغلال المواقف بلغة الشماتة.

٨٠٠. من نتائج شماتة الأعداء:

* القلوب الحاقدة.
* المجالس الكئيبة.
* العلاقات المتوترة.
* الكراهية المنتشرة.
* النوايا السيئة.

❋❋❋

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

٨٠١. من أجل العبادات التي تقرب العبد من ربه سؤاله المغفرة على كل حال، خاصة إذا وقع في ذنب أو معصية.

٨٠٢. من نعم الله تعالى للعبد أن منحه فرصة للتوبة والعودة.

٨٠٣. مع أن الله قد عصم الأنبياء من الوقوع في الذنوب والمعاصي إلا أنهم أعظم خلق الله توبة واستغفاراً.

❊❊❊

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾.

٨٠٤. من عظم الوعيد يتجلى عظم الذنب، فالذين اتخذوا العجل إله وعدهم الله بغضب منه عَزَّوَجَلَّ، وبذلّة تلحقهم في الحياة الدنيا، وأنهم اتصفوا بأنهم أهل افتراء.

٨٠٥. على كل من هم بمعصية أن يفكر في نتائجها قبل القيام بها.

٨٠٦. إذا عظمت العقوبات وتنوّعت وتعددت مقابل معصية واحدة فهذا يدل على عِظم الذنب وفداحته عند الله عَزَّوَجَلَّ.

❊❊❊

﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾.

٨٠٧. من عمل السيئات فلا زال باب التوبة له مفتوح وباب الأوبة له مشرع، فليبادر سريعـًا قبل فوات الفرصة وضيق الفسحة.

٨٠٨. من علامات قبول توبة العبد صدق إيمانه.

٨٠٩. من حسن الظن بالله تعالى أن يوقن المذنب ويعتقد جازمـًا أن الله غفور رحيم يغفر الذنوب جميعـًا وهو أرحم من العبد بنفسه وهذا الأمر يجعله أكثر حرصـًا على التوبة شريطة أن يكون صادقـًا فيها ومقبلاً إلى ربه جَلَّوَعَلَا.

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾.

٨١٠. هدأت نفس موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن غضب من قومه الذين اقترفوا الذنب العظيم من بعده وهنا وقفات:

* الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يغضبون.
* جواز الغضب الذي من أجل الله ومن أجل دينه ومن أجل كتبه ورسله.
* قد يتصرف الغاضب حال غضبه بتصرفات قد يندم عليها.

٨١١. أخذ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الألواح بعد أن ألقاها لأسباب:

* لأنها ألواح عظيمة مقدسة.
* تتضمن الهدى والرحمة.
* ومعالجة للأمر الذي فعله بها حال غضبه.
* تقديساً لها عن موطن الإلقاء.

٨١٢. في نسخة الألواح هدى وهو الحق من قبل الله رب العالمين، وفيها رحمته جَلَّ وَعَلَا.

٨١٣. من أسباب رحمة الله للعبد أن يهْدِيَه للحق.

٨١٤. الرهبة من الله عبادة قلبية تتحقق في قلب كل مؤمن تابع للحق، وهي الخوف منه جَلَّ وَعَلَا، الخوف الذي يدفع المؤمن للعمل الصالح ويبعده عن العمل السيئ.

❊❊❊

﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ ﴾.

٨١٥. بعد الذنب الذي وقع من قوم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان لابد منهم أن يعتذروا إلى ربهم وأن يسألوه التوبة والمغفرة فاختار موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ منهم سبعين رجلاً لهذا الأمر.

٨١٦. اختيار موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لسبعين رجلاً من قومه قد يكون باختيار:

* المؤمنين منهم.
* أهل الحل والعقد فيهم.
* كبارهم وأسيادهم (الملأ).
* الأخيار منهم.

٨١٧. لماذا اختار موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سبعين رجلاً بالذات ؟

* لعلهم جميعاً مشتركون في معايير الاختيار دون بقيّة القوم.
* لما في ذلك من تقدير للموقف والاستعداد له.

٨١٨. لم يكونوا هؤلاء السبعون رجلاً أهلاً للمسؤولية ولا كفؤاً للموقف والدليل أنهم لم يستغلوا الفرصة التي سنحت لهم مع ربهم جَلَّ وَعَلَا، فقد اختارهم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لكي يعتذروا عن أنفسهم وعن قومهم من وراءهم ليفتحوا صفحة جديدة مع ربهم إلا أنهم تمردوا عن ذلك بل أصبحوا يطالبون بمطالب تثبت لهم صدق موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ معهم فكان عاقبتهم أن أخذتهم الرجفة جزاءً بما كانوا يعملون.

٨١٩. لقد كتب الله على قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الهلاك نظير صنيعهم ولو شاء الله لأهلكهم قبل ميقاتهم.

٨٢٠. من أسباب هلاك الأمم تمرد السفهاء على قدواتهم وعقلاءهم.

٨٢١. قد يكون الإنسان كبيراً في عمره كثيراً في ماله حاضراً في قومه لكنه سفيهاً في تصرفاته ومعاملاته وعلاقاته.

٨٢٢. كل بعيد عن الله قريب من هواه والشيطان فهو سفيه ومتمرد.

٨٢٣. قد يبتلي الله عباده بفتنة معيّنة لاختبار مواقفهم وامتحان عبادتهم والسعيد الموفّق من هداه الله لتجاوزها بسلام والشقي المحروم من أضلّه الله فافتُتِن بها.

٨٢٤. من فاز بولاية الله له فلا خوف عليه.

٨٢٥. ولاية الله تعالى ليست إلاّ للمؤمنين الصادقين ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1].

٨٢٦. تكرر الاعتراف بولاية الله مع طلب مغفرته ورحمته في أكثر من موطن من القرآن الكريم وهذا يدل على:

* أنّ أولياء الله هم الأحق بمغفرته ورحمته.
* أنّ من أسباب مغفرة الله للعبد وحصوله على رحمته ولاية الله له.

❋❋❋

﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾.

(١) [سورة البقرة: آية ٢٥٧].

٨٢٧. موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن سأل الله له ولقومه المغفرة والرحمة سأله أيضاً أن يكتب له الحسنات في الدنيا والآخرة وهذا يدل على عظم أمر الحسنات وجلالة قدرها فهي وقود المؤمن للجنة وهي التي ستثقّل ميزانه وهي أغلى وأثمن ما يملكه العبد المؤمن في آخرته.

٨٢٨. لا تحقرنّ حسنة تفعلها مهما كان صغرها أو هوانها عند الناس.

٨٢٩. لله جَلَّ وَعَلَا أن يصيب من عباده من يشاء إما رحمة أو عذاباً لكن ما يجب العلم والإيمان به أن الله لا يظلم أحداً من عباده البتّة.

٨٣٠. من أعظم أسماء الله جَلَّ وَعَلَا الرحمن الرحيم، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ورحمته سبقت غضبه، ورحمته وسعت كل شيء،، فهو رحيم بعباده في أحوالهم وشؤونهم كلها، حتى وإن ظهر على العبد ما يسؤه في دنياه من بلاء أو فتنة أو مصيبة فلا شك أن في بواطن تلك الأمور رحمات من الله جَلَّ وَعَلَا.

٨٣١. ذكر الله جَلَّ وَعَلَا في الآية الكريمة بعض أولئك الذين يستحقون رحمة الله تعالى وهم:

* المتقون.
* الذين يؤتون الزكاة.
* الذين هم بآيات الله يؤمنون.
* الذين يتّبعون محمد صلى الله عليه وسلّم.

٨٣٢. رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شاملة كاملة بدلالة من استحقها هنا:

* فالمتقون هم أصحاب الإيمان والهدى وأهل الطاعة والمعروف.

* والذين يؤتون الزكاة هم أصحاب الأموال بأنواعها.
* والمؤمنون بآيات ربهم هم التابعون للمنهج الآخذون بما فيه من أوامر ونواهي.
* والتابعون لمحمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هم الذين جعلوه لهم القدوة في حياتهم الدنيا والآخرة.

❊❊❊

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾.

٨٣٣. من صفات محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في الآية:

* رسول.
* نبي.
* أميّ.
* مكتوبًا عندهم في كتبهم.
* يأمر بالمعروف.
* ينهى عن المنكر.
* يحل لهم الطيبات.

* يحرم عليهم الخبائث.
* يضع عنهم إصرهم.
* يضع عنهم الأغلال.

٨٣٤. حريّ بنبيٍّ هذه صفاته أن يتّبع .

٨٣٥. جميع الصفات السابقة ما عدا ما اختص به عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من صفات أن تكون بحق صفاتـًا للداعية المسلم، وهذا يدل على أن من أعظم وأفضل وأسمى ما يقتدي به العبد بنبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو أن يكون داعية إلى الله تعالى.

٨٣٦. صفة الأميّة في شأن النبي محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صفة كمال، وقد كان كذلك عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حتى لا تقول قريش أن محمد يقرأ ويكتب فيأتي بما تسمعون منه من كتب البلغاء والشعراء.

٨٣٧. من ثمرات اتّباع ما جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ والإيمان به ونصرته الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة.

٨٣٨. من طرق نصرة محمد عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما يلي:

* الإيمان به وبما جاء به من عند ربه.
* اتباعه الإتباع الأمثل.
* الذب عن عرضه والدفاع عنه.
* نشر سنته وسيرته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

❊❊❊

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

٨٣٩. النبي محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً وهذه خاصية من خصائصه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حيث أرسل الله الأنبياء والرسل إلى أقوامهم دون الأقوام الأخرى، وقد يرسل الله نبيّين أو أكثر في وقت واحد، أما نبينا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقد أرسله الله للناس كافة.

٨٤٠. في الآية رد على من يقول أن الله تعالى أرسل محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أرسل لأهل الجزيرة العربية أو أرسل للعرب دون غيرهم، وهذا ادعاء كاذب.

٨٤١. يبين الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منطلق رسالته وأنها من عند الله جَلَّ وَعَلَا الذي له ملك السموات والأرض ويحي ويميت جَلَّ وَعَلَا.

٨٤٢. في مقالة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للناس رسائل اطمئنان وأمان ومن أهمها:

* أنه رسول من عند الله تعالى، وهذا أعظم ما يبعث بالاطمئنان والأمان في القلوب.
* ما جاء به من آيات ليست من عنده، فإنما هو بشر قد يصيب ويخطيء.
* أنه رسول من عند الله تعالى لجميع خلقه، فلا تمييز ولا تفضيل بين خلقه إلا بالتقوى.
* أن الله الذي جاء من عنده هو ملك السماوات والأرض وهو المحيي والمميت، ومن كانت هذه صفاته فهو قادر على أن يبعث الرسل برسالاته وآياته.

٨٤٣. رسالة الله من السماء أصدق وأنقى وأطهر وأعذب من كل رسالات الناس والأقوام والخلق، فهي أحق بالانتماء والولاء.

٨٤٤. أصدق الناس إيمانًا بالله وأعظمهم اتّباعًا له هو محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو بذلك يعدّ قدوة لأمته بل يدعوهم للإيمان بربهم واتباع دينه والاستقامة على منهجه جَلَّ وَعَلَا.

٨٤٥. تكرر هنا لفظة الأميّ والمقصود بها محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للإثبات مجدداً أن ما جاء به من آيات إنما هي من عند ربه تعالى وليست من قراءته ولا من كتابته.

٨٤٦. هداية العبد نتيجة لإيمانه بالله وبكلماته وبرسوله الإيمان الكامل والصادق.

❊❊❊

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾.

٨٤٧. من بني إسرائيل من نصر موسى وهارون عليهما السلام ووقفوا معهم ضد فرعون وأتباعه، لكنهم الفريق الضعيف القوي بالله والحزب الذليل العزيز بالله والأنصار القلّة الكثيرين بالله.

٨٤٨. ذكر الله تعالى أبرز صفتين بقوم موسى وأنصاره من بني إسرائيل وهما:

* يسعون في هداية أنفسهم ومجتمعهم بالحق، بمعنى أنهم يقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وأكرم بها من وظيفة ومن صفة، ولا شك أن دليل فضلها وعظمتها ذكرها كصفة لقوم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المؤمنين.

* أنهم في دعوتهم تلك لا يظلمون أحداً ولا يجورون على أمرءٍ أيّاً كان، وهذا الصفة من محاسن الإسلام وخصائصه العظيمة.

❊❊❊

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾.

٨٤٩. في الآية بيان لفضل الله تعالى على بني إسرائيل ولمّنته جَلَّ وَعَلَا عليهم أيضاً.

٨٥٠. تفرق بنوا إسرائيل في التيه إلى اثنتي عشرة فرقة أو قبيلة لاختلافهم في ما بينهم كل فرقة عليها نقيب يسوسهم.

٨٥١. لقد عانى بنوا إسرائيل في التيه المعاناة الشديدة والعظيمة والتي جعلتهم أشتاتاً بعد جمعهم، وحرموا من خيرات السماء والأرض، وتقطعت بهم السبل ضياعاً وتيهً وخوفاً.

٨٥٢. حتى أنه لم يكن لهم بدٌ من سؤال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يسأل ربه الماء وأن يستسقي لهم.

٨٥٣. المتأمل في الآية سيجد عظيم نعم الله تعالى على بني إسرائيل بعد أن استسقى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه لهم وهي:

* أوحى الله إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يضرب بعصاه الحجر لتكون سبباً في خروج الماء منه بإذن الله تعالى وأمره وقدرته، فتفجرت إثر ذلك

اثنتا عشرة عين ماء كل فرقة أو قبيلة لها ماءها الخاص بها.

* ظلّلهم بالغمام، وطبيعة الغمام أن يكون قريباً من الأرض وكثيفاً متماسكاً.
* أنزل عليهم المنّ والسلوى وهما طعام وشراب من ألذّ ما يؤكل ويشرب.

٨٥٤. بعد أنعم الله على بني إسرائيل بالنعم المذكورة في الآية وتنّعموا بها ملّوا منها وتثاقلوا طول مداومتهم عليها وقالوا لن نصبر على طعام واحد وطلبوا منه استبدال ما هو أدنى بالذي هو خير، ولم يشكروا الله على تلك النعم وهذه جميعها تدل على ظلمهم لأنفسهم وكفرهم بنعم الله عليهم.

❊❊❊

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

٨٥٥. نعم الله تعالى على بني إسرائيل كثيرة ومتنوّعة رغم كفران وجحود كثير منهم لها ومنها ما ذكر في الآية .

* أسكنهم القرية.
* جعلهم يأكلون من خيراتها.
* أطلق لهم حرية التنقل فيها.
* غفر لهم.
* وعد المحسنين منهم بالزيادة من الأجر والفضل.

٨٥٦. السكن من أجل نعم الله على العبد، وقد يكون السكن في:

* الأرواح (الأمان الروحي والهدوء النفسي).
* الجوارح (استقامتها على الحق والطاعة).
* الأخلاق (في التعامل بها مع الآخرين).
* البيت (وهو مكان الأسرة وفيه معاشهم ومقر نومهم واجتماعهم).
* البلد (وهو مكان اجتماع أفراد المجتمع الواحد سواءً كان المجتمع صغيراً أو كبيراً ولهم على بعضهم حقوق وواجبات لا يستقيم سكن البلد إلا بإقامتها).

٨٥٧. أمرهم الله تعالى بأن يسألوه أن يحط عليهم ذنوبهم التي اقترفوها وهذا الأمر دليل عظيم على رحمة الله تعالى بهم حين أمرهم بالقيام بما يصلح لهم في دنياهم وآخرتهم.

٨٥٨. لقد فعل بنو إسرائيل ما فعلوه من الآثام والمعاصي العظيمة والكبيرة إلا أن الله تعالى أخبرهم بأن باب التوبة مفتوح والعودة إلى الحق ممكنة وأنهم متى ما تابوا وعادوا إليه فإنهم موعودون بعفو من الله تعالى وغفران.

٨٥٩. من يتأمل في آيات القرآن الكريم يجد أن هناك رسائل ربانية من الله جَلَّ وَعَلَا تتضمن التوجيه لعباده أن يتوبوا إلى ربهم ويستغفروه من أخطاءهم وذنوبهم وهذا يدل على ما يلي:

* سعة رحمة الله جَلَّ وَعَلَا.
* أن الله لا يريد بعباده إلا الخير.
* حتى يكرمهم بالمغفرة والتوبة والحسنات والجنة.

* أن باب التوبة مفتوح أبداً في كل زمان ومكان.
* أن الموفق من تاب إلى الله وعاد إليه.
* أن التوبة مطلوبة من كل أحد.

٨٦٠. في الآية بيان لفضل الإحسان لأنه معيار زيادة الأجر من عند الله تعالى.

❊❊❊

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾.

٨٦١. التبديل من أساليب أهل الغي والفساد كالتحريف والتضليل وغيرها، وهو علامة انتكاس وانحراف، ويدل على الكِبر والتجبّر والاعتداد بالقول والفعل.

٨٦٢. والتبديل هنا أن بنو إسرائيل بدّلوا ما أمرهم الله تعالى به إلى ما تمليه عليهم أهواءهم ورغباتهم من الطغيان والفساد.

٨٦٣. الآية تدل على من بدّل فهو ظالم.

٨٦٤. أرسل الله تعالى على بني إسرائيل رجزاً من السماء أي عذاباً يأتيهم من فوقهم، جراء ما بدلوا من القول وفي هذا ما يلي:

* أن الله تعالى يمهل ولا يهمل.
* أن عذاب الله أليم شديد
* أن عذاب الله قد يأتي من السماء.
* أن عذاب الله جزاء الكافرين المبدّلين.
* أن عذاب الله نتيجة حصول الظلم.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

٨٦٥. لا زال الحديث عن بني إسرائيل، وهنا تتحدث الآيتين عن مجموعة من المواضيع المهمة:

* استمرار بنو إسرائيل في تعديهم وتجاوزاتهم.
* التعدّي على المقدّس.
* الحيل الشيطانية.
* ابتلاء الله لهم.
* فضل الدعوة إلى الله.
* أهمية التقوى.

٨٦٦. اسألهم .. أي يا محمد .. المجاورين لك من يهود المدينة، عن أسلافهم الذين سكنوا القرية المجاورة للبحر، وكيف كان تعاملهم مع ربهم جَلَّ وَعَلَا.

٨٦٧. بيّن الله تعالى في الآيتين السابقتين حال قوم من يهود تعاملوا معه بالحيلة الباطلة والتصرف المذموم.

٨٦٨. من الشواهد المهمّة لتبيين حال أمّة ما ذكر أفعالها السالفة وماضيها القديم، لما في ذلك من العبرة لأجيالها فإن كان ذلك الماضي ماض مشرف فهذا يحفزهم لمواصلة الطريق وإن كان غير ذلك فلعله يكون سببًا في بناء ما قد هدم من أسلافهم.

٨٦٩. ذكرت القرية في القرآن الكريم في مواضع عدة، وكل قرية لها موضوعها

الخاص الذي ذكرت من أجله، وهذا يعني أهميّة اجتماع الناس في المكان الواحد، وأنّهم باجتماعهم في مكان واحد يؤثر بعضهم على بعض، وبينهم تقوم الحقوق والواجبات، وتقسم بينهم المهام والمسؤوليات، ومن أهم ما يجتمع عليه الناس عبادتهم لربهم تعالى وتوحيدهم له وإقامة الطاعات للنيل على رضاه والبعد عن المعاصي والمنكرات حتى لا يقعوا في عذابه وهلاكه، ولأنّ أيّ تجاوز من أحدهم أو بعضهم في حدّ من حدود الله أو تعدّي على حرمة من حرماته مع صمت البقية عن الإنكار والمنع فإن ذلك إيذانًا بوقوع عذاب الله على الجميع.

٨٧٠. من صفات هذه القرية:

* أنها قرية.
* سكانها من اليهود.
* سكانها قوم بهت وأصحاب تعدي.
* كانت قائمة على شاطئ البحر.
* يعمل أهلها في صيد الأسماك.
* أن الله أصاب أهلها بالابتلاء العظيم.
* لم يتعاملوا مع ابتلاء الله لهم بما يجب عليهم شرعًا.
* حكم الله عليهم بأنهم أصحاب فسق.

٨٧١. من كبائر الذنوب القرب من محارم الله أو التعدّي عليها، وهي علامة كبر وطغيان وفساد، وقد تكرر التحذير الرباني من عدم القرب من حدود الله تارة ومن عدم التعدّي عليها تارة أخرى وذلك في أكثر من موقع في القرآن الكريم.

٨٧٢. لقد حرّم الله على اليهود الصيد يوم السبت، وهذه الحرمة تعني وجوب الانقياد لله بالطاعة مهما كان سبب التحريم.

٨٧٣. من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله تعظيم شعائر الله سواء كانت تلك الشعائر زمانية أو مكانية، وهي دليل على صلاح قلب العبد وتقواه لربه.

٨٧٤. حرّم الله على اليهود الصيد يوم السبت بالتحديد لحكمة ما وقد تكون:

* أعطاهم الله الجمعة فأبوا إلا السبت.
* ولأنهم قالوا أن الله جعل هذا اليوم ليستريح فيه بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام.
* مجادلتهم لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واشتراطهم عليه.
* لأنهم اختلفوا فيه.

٨٧٥. كان صيد البحر يخرج للشاطئ يوم السبت بكميات وفيرة ومتنوعة وكان هذا الأمر يشكّل لهم ابتلاءً عظيماً كون أن الصيد يخرج بهذه الكميات وهو في متناول أيديهم وشباكهم إلا أنه محرم عليهم في ذلك اليوم، وفي هذه الوقفة فوائد:

* الفتن قد تتنوع وتتشكل وتختلف لاعتبارات وحكم معينة يعلمها الله تعالى، وقد يعلمها خلقه وقد لا يعلمونها.
* الله يقدّر الفتنة والبلاء على عباده حتى يختبرهم في التعامل معها، فمن تعامل التعامل الشرعي معها فاز ونجا، ومن تعامل معها التعامل السلبي خاب وخسر.
* من التعامل المشروع مع الفتن:
  - عدم الخوض فيها.

- الرجوع إلى العلماء والأئمة.
- تجنبها قدر الإمكان.
- التعوّذ منها ومن مسبباتها.
- البعد عمّن يثيرها أو يدعو إليها.
- مجاهدة النفس على تركها والبعد عنها.
- استشعار أجر مجاهدة النفس والصبر على تركها.

* من الفتن التي يتعرض لها العبد سهولة الوصول إلى الحرام أو سهولة ارتكابه أو سهولة العمل به.
* ومن الفتن أيضـًا أن يعتدّ الإنسان بعقله أو ذكاءه أو حِيَلِهِ ليستخدمها في المراوغة والمخادعة مع الله تعالى ظنـًا منه أنه يستطيع أن يفلت منه جَلَّ وَعَلَا.
* يبتلي الله قوم أو جماعة من الناس في بلاء واحد ابتلاء منه تعالى لجميعهم كأصحاب السبت، وقد يبتلى الإنسان لوحده في بلاء أو فتنة دون غيره.

٨٧٦. ما فعله أصحاب السبت مع صيدهم يعتبر فسقـًا منهم حكم الله به عليهم.

❋❋❋

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

٨٧٧. هناك طائفة من بني إسرائيل يرون تجبّر القوم وعنادهم وطغيانهم مع ربهم حتى أنه قد تأكد لهم أنهم - أي بني إسرائيل - للهلاك مُعَرّضُون وفي

العذاب واقعون، فأصبحوا ينكرون على طائفة أخرى تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم ويقولون كيف لكم أن تعظون قوماً قد حكم الله عليهم بالهلاك.

٨٧٨. لا يجوز الحكم على الناس بأنهم قد هلكوا أو أن الله لن يغفر لهم ويتجاوز عنهم، لأن ذلك يساهم في بث اليأس في قلوب العاصين أو المذنبين فيستمروا في عتوّهم وعنادهم وطغيانهم، وفي ذلك أيضاً غلقاً لأبواب الفأل والبشارة، وفيه سوء أدب مع الله تعالى حينما يدّعي أولئك أن الله لن يغفر لهم أو لن يقبلهم.

٨٧٩. الموعظة من أهم وأعظم الأساليب الدعوية لما يلي:

* غالباً ما تكون مقترنة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهما أعظم واعظ على الإطلاق.
* غالباً ما تكون موجهةً للقلوب، بل عدّها بعضهم سياطاً للقلوب، ولا شك متى ما تأثر القلب تأثرت جميع الجوارح.
* المواعظ يبقى أثرها ويطول تأثيرها على المتلقي حتى أنك تجد من يذكرك بموعظة سمعها قبل عشرات السنين يعرف قائلها وسببها ومكانها وزمانها ومدى تأثيرها عليه في حياته.
* الموعظة قد يقوم بإلقائها أيّ أحد على كل أحد، فهي لا تحتاج إلى شهادة علمية أو أسلوب إلقائي معين أو تحضير قبلي أو غير ذلك.
* الناس بشكل عام في حاجة ماسة لمن يكون سبباً في عودتهم إلى الحق بترقيق قلوبهم وترويض أفئدتهم ولا يكون ذلك إلا بالموعظة المؤثرة.

٨٨٠. عرض القوم مصيريَن لبني إسرائيل إما الهلاك أو العذاب، والفرق بينهما أن الهلاك قد يكون عاماً والعذاب خاصاً، أو أن العذاب أولاً ثم الهلاك، أو أنه ليس بينهما فرق وإنما جاء ذكر كل واحد منهما بياناً لسوء المصير وفداحته وقوته.

٨٨١. أجابت طائفة الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أن سبب وعظهم لبني إسرائيل أمران:

* ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ أي حتى يقابلوا الله تعالى وقد أدّوا ما عليهم من نصيحة وموعظة لأولئك الذين حادوا عن جادة الحق، وبذلك برأت ذمتهم وأدوا ما عليهم من نصيحة وموعظة.
* ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾ أي لعل هذه الموعظة تصل إلى قلوبهم فتتأثر بها إيماناً وهدى وإلى جوارحهم فتتأثر عملاً واستقامة فتكون النتيجة أن يكونوا من عباد الله المتقين الذين يعملون الطاعات.

٨٨٢. كن داعياً:

* وإن كانت أمامك الظروف والعقبات.
* وإن اتسعت مساحة الفتن وزادت نسبة البلاء.
* وإن رقص أهل الشر على مسارح الفساد.
* وإن رأيت الكون كلّه يعصي الله.
* وإن حاربك أهلك وقومك قبل غيرهم.
* وإن أمن القوم من مكر الله.
* وإن ابتليت في طريق الدعوة إلى الله.

* وإن قل سامعوك وتابعوك.
* وإن طال المدى وبعد المسير.
* في كل مكان وموقع ووقت وحين.

٨٨٣. على كل داعية أن يراجع نفسه في ما يقوم به من دعوة وتبليغ ويسألها هل قدمت ما عليّ كداعية إلى الله؟ هل قبل الله منِّي العمل والجهد؟ هل سينفعني اعتذاري عند ربي لو سألني - وهو أعلم سبحانه - عن بذلي وعطائي في الدعوة إلى الله؟

٨٨٤. لابد أن يكون الهدف من دعوة إي داعية سوق الناس إلى تقوى الله جَلَّ وَعَلَا.

❋❋❋

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾.

٨٨٥. قد يكون نسيان أصحاب السبت عمداً منهم فهم لم يستجيبوا لداعي ربهم، ولم يمتثلوا أمره، ولم يصبروا على ما ابتلوا بهم، ولم يطيعوا الرهط الذين من قومهم حينما وعظوهم وذكّروهم، وهكذا حال كل من عصى الله تعالى فهو يتعمد العصيان ويتغافل عن الأوامر ويتناسى ما وكّله الله به من حسن العبادة والاتباع.

٨٨٦. أنجى الله تعالى أولئك الناهين عن المنكر منهم، وفي هذا ما يلي:

* فضل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم مكانتها.
* وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حال تفشي المنكرات وانتشار الذنوب والمعاصي.

* نجاة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حال حصول العذاب على أقوامهم.
* إذا لم تقم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمعات كان ذلك سبباً في هلاكها وزوالها.
* من أراد النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة فليقم لله داعياً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر.

٨٨٧. الظلم هنا المقصود به العصيان والتمرد والكبر والطغيان.

٨٨٨. من عواقب الظلم أخذ الله للظالمين بسبب ظلمهم لأنفسهم ولأمتهم.

٨٨٩. العذاب البئيس هو الذي جمع البؤس كله من شدّة وألم وقوة.

❊❊❊

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾.

٨٩٠. العتوّ هو العصيان والتمرد، والبعد عن الله تعالى، ويأتي بمعنى التكبّر على ما أُمروا به أو على من أَمرهم وذكّرهم من الذين ينهونهم عن السوء.

٨٩١. نتيجة عتوّهم أن الله أخزاهم وأذلهم وأبعدهم بأن جعلهم قردة وخنازير.

❊❊❊

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾.

٨٩٢. أي لقد أذن ربك يا محمد أن يبعث على يهود من يسومهم سوء العذاب حتى تقوم الساعة.

٨٩٣. لقد بعث الله المسلمين على أهل الكتاب بأن يكونوا فوقهم في المكانة والفضل والمنزلة.

٨٩٤. العذاب هنا قد يكون بما افترض عليهم من جزية أو جباية أو غيرهما يقدمونها للمسلمين من باب إذلالهم وإهانتهم.

٨٩٥. من سوء مآل ومصير يهود تنوّع العذاب عليهم وما ذكر في الآية سيكون عليهم عذاباً حتى تقوم الساعة.

٨٩٦. الله تعالى سريع العذاب لكل من تكبر وظلم وعتى عن أمر ربه، وغفور رحيم لكل من آمن واتبع ونهى عن السوء.

❊❊❊

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾.

٨٩٧. ونتيجة أخرى ليهود فهم لمّا عتو وكذبوا وطغوا قطعهم الله وفرّق شملهم وشتّت جمعهم.

٨٩٨. منهم صالحون آمنوا بربهم جَلَّوَعَلَا واتبعوا منهج الحق.

٨٩٩. ومنهم دون الصالحين وهم الذين آمنوا ثم كفروا.

٩٠٠. ابتلى الله الجميع بأن أعطاهم الأرزاق والأنعام والأنهار فيشكروه عليها فيكن خيراً لهم، وابتلاهم بالعذاب والتيه والفرقة فيصبروا على قضاءه وقدره فيكن خيراً لهم.

٩٠١. الحكمة من ابتلاء الله لهم جميعاً لعلهم يرجعون جميعاً إلى إيمانهم بربهم واتباعهم لهديه ومنهجه.

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾.

٩٠٢. جاء من بعد بني إسرائيل الذي كانوا قطعًا وفرقًا وكان معهم شيء من دين وإيمان أجيال لا دين فيها ولا إيمان، ومن المصاب أن يأتي من بعد العبد أبناء وأحفاد يضيّعون ما جمع ويهدّون ما بنى.

٩٠٣. صفات الخلف هنا ما يلي:

* ورثوا الكتاب عن آباءهم وأسلافهم.
* لم يأخذوا بما فيه من أوامر ونواهي.
* قدموا على الكتاب ما اعترضهم من مغريات الدنيا وشهواتها.
* اعتمدوا على مغفرة الله لهم رغم عصيانهم وانحرافهم.
* مستعدون للانغماس أكثر في الدنيا ومغرياتها.
* لم يفوا بميثاق الله وعهده.
* درسوا ما في الكتاب لكنهم لم يعملوا بما علموا.

٩٠٤. الخلف هنا جاء على سبيل الذم، وكل خلْف حاد عن طريق سلفه وهو طريق سليم فهو مذموم.

٩٠٥. الاهتمام والعناية بالأبناء والأحفاد والأجيال بشكل عام مطلب مهم ووظيفة ربانية لأمور كثيرة ومنها أن يكملوا مسيرة الخير والصلاح والاستقامة التي بدأ بها آباءهم وأجدادهم وأسلافهم.

٩٠٦. هؤلاء الأعقاب لم يأخذوا ما تركه لهم أسلافهم بل تركوه وذهبوا لأمور الدنيا الأخرى التي اعترضتهم وهذا دليل آخر على فسادهم وعقوقهم.

٩٠٧. لقد أسرف هؤلاء في الذنوب والمعاصي حتى أنهم من شدة ركونهم إلى أنفسهم وأمنهم من مكر ربهم على ثقة بأن الله سيغفر لهم.

٩٠٨. لا تركن إلى عملك أيها العبد ولا تأمن من مكر ربك وأنت تعصيه.

٩٠٩. من الخزي والندامة أن يؤخذ على العبد الميثاق من الله ثم لا يلتزم به ويسعى في خيانته بذنوبه ومعاصيه.

٩١٠. من ميثاق العبد مع ربه أنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن لا يقول عليه إلا الحق سبحانه، وقد علم بما في هذا الميثاق دراسة وفهماً فعليه أن يفي مع ربه وأن يلتزم بما علم ويعمل به.

٩١١. أهل التقوى مؤمنون بأن الدار الآخرة هي خير من الدار الأولى لذا فهم يعمرون تلك الدار بتقواهم وطاعتهم لربهم.

٩١٢. من أحكم عقله وأعمله في الحق كان من عباد الله المتقين.

❋❋❋

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.

٩١٣. من تمسّك بكتاب الله، فعلم ما فيه وعمل به، وعظّم أوامره ونواهيه، والتزم بمنهجه وطريقه فهو من الفائزين في الدنيا والآخرة.

٩١٤. من أعظم وسائل الثبات الإيمان بالمنهج والتصديق به والدعوة إليه.

٩١٥. كلمة المسك قوية وقوية أكثر لما شدّدت، وهذا يدل على وجوب أخذ الكتاب بقوة لا برخاوة وضعف وتردد.

٩١٦. في الآية بيان لعظم فريضة الصلاة وبيان فضلها وعلو مكانها وسمو شرفها.

٩١٧. يبيّن الله جَلَّ وَعَلَا أنه لن يضيّع أجر المصلحين وهم العاملين والباذلين لدين الله والساعين لإصلاح الناس وسوقهم إلى جنة عرضها كعرض

السماء والأرض.

٩١٨. كل من يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فلن يضيّع الله عمله قلّ ذلك أو كثر المهم أن يشرع في العمل ولا يؤخر أو يسوّف.

❊❊❊

﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

٩١٩. لمّا رفض بنوا إسرائيل الكتاب ومدارسته والعمل بما جاء به نتق الله الجبل من الأرض حتى رفعه فوق رؤوسهم على أن يسقط فوقهم إذا هم استمروا على كفرهم ورفضهم.

٩٢٠. في قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه بني إسرائيل مجموعة من الآيات التي كانت حاضرة وبقوة، ومنها هذا الجبل الذي نتقه الله ورفعه فوقهم.

٩٢١. وأنت تقرأ في قصص القرآن الكريم تأمل كيف يسخّر الله مخلوقاته سائلها وهوائها وجامدها لخدمة دينه وإعلاء كلمته ونصرة لأوليائه.

٩٢٢. يأمر الله بني إسرائيل أن يأخذوا الكتاب بقوة، وهذا دليل على أن الشرائع والأوامر الإلهية يجب أن تؤخذ بجدية تامة وعزم متناهٍ واستجابة سريعة وعمل دؤوب واتباع مستمر.

٩٢٣. ما استقام على الطاعة إلا من أخذ كتابه بقوه.

٩٢٤. الإسلام دين لا يقبل الكسل ولا يحب التواكل ولا يرغّب في الاتكالية ولا يأمر بالضعف ولا يدعو للهزيمة ولا يأبه بمن ضيّع أو ضاع.

٩٢٥. خذ الكتاب بقوة أيها المؤمن ليكتبك الله من المتقين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾.

٩٢٦. هذه الآية من أعظم الآيات القرآنية التي يُرد بها على كل من أنكر ربوبية الله جَلَّوَعَلَا، فهو سبحانه رب كل شيء وخالقه ومليكه.

٩٢٧. من رحمة الله جَلَّوَعَلَا أن لم يأمر عباده حتى أشهدهم جميعهم أنه ربهم وأقروا له بذلك.

٩٢٨. شهادة العباد بربوبية الله تعالى دليل على ما فطرهم الله عليه، فكل منهم مولود على الفطرة وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن لا رب سواه ولا معبود بحق غيره حتى يأتي من يصرفهم عنها من آباءهم أو أقوامهم.

٩٢٩. في موقف القيامة سيعاد أمر هذه الشهادة فمن شهد والتزم فاز ونجى ومن شهد وحاد عن الفطرة السليمة لأي سبب من الأسباب خاب وخسر.

❊❊❊

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

٩٣٠. وهذا تنبيه آخر لكل من أشرك بالله، احذروا أن تعتذروا بشرك آباءكم وتأثيرهم عليكم، وتقولوا إنا كنا لهم تبعًا لأن هذا الاعتذار لن ينفعكم ولن ينجيكم من النار فكل اليوم يقول نفسي نفسي.

٩٣١. الأبناء سريعو التأثر بآبائهم وهذا التأثر قد يكون إيجابيًا وقد يكون سلبيًا، فعلى الآباء أن يستشعروا مثل هذه المسؤولية العظيمة وأنهم يشكّلون قدوات مؤثرة لأبنائهم في حركاتهم وسكناتهم وكلماتهم وأفعالهم.

٩٣٢. من اتبع قدوة منحرفة وتأثر بها فأصبح منحرفًا فقد هلك والعياذ بالله.

٩٣٣. لن ينفع الأبناء دفاعهم عن أنفسهم حينما يقولون أتهكنا يارب بما ربّانا عليه آباءنا المشركون المبطلون؟ لأن الله قد أشهد الجميع على ربوبيته وأقروها ومنهم أنتم.

❋❋❋

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

٩٣٤. يفصل الله الآيات ليعرّف عباده بمدلولاتها وآثارها وما تحمله من عظات وعبر.

٩٣٥. وفي تفصيله للآيات ومعرفتهم بها فرصة لهم للرجوع إلى الله والتوبة إليه من الذي فعلوه من ذنوب ومعاصي وآثام، وهذا الأمر من أعظم أسباب تفصيل الله للآيات.

❋❋❋

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

٩٣٦. اتل عليهم يا محمد نموذج من نماذج الفساد والطغيان، رجل آتاه الله العلم الغزير والفهم الدقيق لآيات الله تعالى فتبرأ منها وأحالها لغير مصدرها وأسّها، وهذا دليل على فسقه وفجوره.

٩٣٧. في هذه الآيات رسالة عظيمة للعلماء والدعاة وطلبة العلم وكل من أتاه الله علمًا أن يتقوا الله في ما يحملونه من علم وفهم ومعرفة.

٩٣٨. لقد اغترّ هذا النموذج بعلمه وتفاخر به وقال أنه هو من تعب من أجله وسهر لتحصيله ولا فضل لأحد عليه وهذا من كفره بنعمة ربه عليه.

٩٣٩. هذا النموذج أمن من مكر الله فأتاه الله من حيث لا يحتسب.

٩٤٠. على من آتاه الله علماً أن يشكر الله تعالى على أن جعله يحمل من علمه، وأن ينسب الفضل لمولاه، وأن يكون طلبه للعلم خالصاً لوجه الله الكريم وأن لا ينافس به الفضلاء ولا يماري به السفهاء، وأن يعمل بما علم.

٩٤١. إذا شعر طالب العلم أن علمه ينقص أو فهمه يضعف أو عمله بعلمه يقلّ فعليه أن يراجع نفسه وأن يعود إلى ربه وأن يجدّد نيته.

٩٤٢. الانسلاخ هنا معناه قوي وشديد يعني التعرّي تماما وبصفة قوية ومؤثرة من لبوس العلم والفهم.

٩٤٣. فليحذر العالم وطالب العلم من فتنة الحور بعد الكور والانتكاسة بعد الاستقامة وليسأل الله الثبات على الحق حتى يلقاه.

٩٤٤. في تعامل الإنسان مع الشيطان يكون الإنسان تابع لشيطانه، أمّا هذا الذي ذكره الله هنا فإنه من شدة انسلاخه من آيات الله وتعريه منها تبعه الشيطان واقتفى أثره.

٩٤٥. ولمّا أتبعه الشيطان فقد غواه بهذا الأمر.

❊❊❊

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾.

٩٤٦. الاهتمام بالدون واتباع الهوى والنظر إلى الأسفل والعيش مع الهمل والتعايش بسفاسف الأمور والتعامل بالهمم الرخوة والسعي إلى مواطن

الركون والدعة والتسويف جميعها من الإخلاد إلى الأرض، الإخلاد الذي يحرم صاحبه من مراقِ العلو ومحال السمو والذي لا يصلها إلا من آمن بالله حق الإيمان وعرف ربه حق المعرفة وأدرك أن الفوز الحقيقي هو حينما يزحزح عن النار ويدخل الجنة .

٩٤٧. من آثار انسلاخ العبد من آيات الله:

* مجاراته للشيطان في هذه الصفة.
* الغواية والجهل.
* ركونه إلى الأرض وإخلاده إليها.
* اتباعه للهوى.
* أن يكون بهذه الصفة كالكلب.
* تكذيبه بآيات الله.

٩٤٨. من اتبع هواه ضل.

٩٤٩. من أهم مقوّمات بناء الهمة العالية طلب العلم والعناية به.

٩٥٠. جهل العبد بدينه وشريعته يودي به إلى المهالك، فكيف إذا أطبق على الجهل الكبر والعناد.

٩٥١. لا فائدة من علم لا يرفع صاحبه ولا معرفة تسمو براعيها.

٩٥٢. من انسلخ من آيات الله التي أعطاها إياه لأي سبب من الأسباب فلن يستفيد منها ولن يفيد غيره بها، وهذا باب من أبواب الخسارة له في الدنيا والآخرة.

٩٥٣. تشبيه الذي انسلخ من آيات الله بالكلب، وهو الحيوان النجس الذي يلهث في كل حالاته يعد من باب الإهانة والذم.

٩٥٤. هذا المثال من أسوء الأمثلة في حق الذين يكذبون بآيات الله وهو يستحقونه لسوء صنيعهم.

٩٥٥. من أعظم ثمرات القصص في القرآن الكريم أن يتفكّر المؤمن في أحوال من جاء القرآن الكريم بذكرهم وقصصهم فيتّعظ ويعتبر.

❊❊❊

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

٩٥٦. من كذّب بآيات الله ساء قوله، وكل حيدة عن منهج الله إساءة.

٩٥٧. المكذّب بآيات الله يسيء إلى نفسه وقوله وكذلك يسيء إلى ربه وآياته ومنهجه.

٩٥٨. من كذّب بآيات الله ظلم نفسه.

٩٥٩. من خسارة العبد وأهانته لنفسه أن يجمع بين التكذيب بآيات الله والظلم.

❊❊❊

﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾.

٩٦٠. خلق الله عباده ليبتليهم أيؤمنوا به فيجازيهم بالأجر والمثوبة أو يكفروا به فيجازيهم بالوزر والعقوبة، ومن عرف هذه الحقيقة وأدركها جيداً حريّ به أن يؤمن بربه ليفوز بمرضاته.

٩٦١. من نعم الله تعالى على عبده أن ييسر له سبيل الهداية ويصرفه عن سبل الغواية.

٩٦٢. من أضلّه الله فقد خسر بصريح الآية وفي المقابل من هداه الله فقد فاز.

٩٦٣. المهتدون أقرب عباد الله إليه، والضالون أبعدهم عنه.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

٩٦٤. قضى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعدله أن يكون لجهنم ساكنوها من الإنس والجن والعياذ بالله وهو كثير في عددهم، وقد قضى الله هذا الأمر قبل أن يخلقوا.

٩٦٥. على العبد أن يدرك تمامًا أنه لابد أن يكون على أحد طريقين إما طريق الجنة أو طريق النار.

٩٦٦. من أيقن بأن النار قد تكون دار له بسبب كفره ونفاقه وعصيانه فليبادر بالتوبة حتى يغيّر الطريق مادامت الفرصة متاحة.

٩٦٧. وصف الله تعالى أصحاب جهنم في هذه الآية بما يلي:

* أن لهم قلوب لا يفقهون بها، أي لا دين فيها ولا تقوى، مليئة بسواد الكفر وشؤم الانحراف.
* ولهم أعين لا يبصرون بها، أي لا يرون سبيل الرشاد فيتخذوه سبيلا، ويرون سبيل الغي ويتخذونه سبيلاً.
* ولهم آذان لا يسمعون بها، أي تقرأ عليهم الآيات فيصدّون عنها، وتقرع أسماعهم المواعظ فينصرفون عنها.
* وهم كالأنعام، أي أن أقصى اهتماماتهم في الدنيا إشباع بطونهم وفروجهم، وهم بهذا الاهتمام يشبهون الأنعام.
* بل أضل من الأنعام، الأنعام قد تستفيد من جوارحها الاستفادة التي تضمن لها الحياة ومواطن الأمان والأكل والشرب وغير ذلك وهي غير مكلّفة بأي أمور أخرى فهي فقط تأكل وتشرب وتتزاوج فقط،

أما هؤلاء فقد وهبهم الله الجوارح التي تعينهم على الإيمان والهدى والعمل الصالح، لكنهم سخروها لاهتماماتهم الرخيصة وشهواتهم البغيضة وشؤونهم الدنيوية فكانوا أضل من الأنعام.

* ووصفهم أنهم الغافلون عن رسالة الحق، ونتيجة غفلتهم أن صاروا إلى ما وصفهم الله به.

٩٦٨. على المؤمن أن يتدبر في ما أتاه الله من جوارح وأعضاء وأن يسخر هذه الجوارح والأعضاء في ما يرضي الله تعالى عنه.

❋❋❋

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾.

٩٦٩. من أجلّ العبادات وأعظمها الدعاء لله تعالى، خاصة إذا أقيمت هذه العبادة العظيمة بأسماء الله الحسنى، فإذا دعوت الله تعالى فاثني عليه بما هو أهل له وإن كنت لا تحصي ثناءً عليه، وتقرب إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٩٧٠. من فضائل أسماء الله الحسنى:

* من أسباب دخول الجنة.
* تعرفك بالله جَلَّ وَعَلَا.
* أصل كل عبادة
* من أسباب استجابة الدعاء.
* أن الله يحب من أحب أسماؤه الحسنى.

* من أسباب تفريج الهموم ورفع البلاء.
* هي أصل كل العلوم.
* معرفتها أصل لخشيته جَلَّوَعَلَا.
* تورث حسن الظن بالله تعالى.
* لا يضر معها شيء.
* من أسباب البركة في العيش والرزق والولد.

٩٧١. الإلحاد هو الميل، وهنا هو الميل عن أسماء الله، وقد يكون ذلك بالكفر بها وعدم الاعتراف بمدلولاتها، أو الإشراك بالله فيها، أو تسخير أسماء الله تعالى لتكون أسماءً لأصنامهم مع تغييرهم فيها، وهذا كله من الشرك بالله جَلَّوَعَلَا الموجب لدخول أصحابه إلى النار.

٩٧٢. في الآية تقريع وإبعاد وإقصاء ومن ثم تهديد من الله عَزَّوَجَلَّ لأولئك الذين ألحدوا في أسماء الله وأشركوا بها غيره.

❊❊❊

﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

٩٧٣. يبيّن الله تعالى أن من خلقه عباد يسعون في الأرض لهداية الناس، ويكون ذلك بدعوتهم للإسلام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهذا امتنان من الله لهؤلاء النفر، وهنيئاً لهم هذا الاصطفاء من عند الله تعالى.

٩٧٤. من فضائل الدعوة إلى الله أن الله أثنى على القائمين عليها والباذلين من أجلها.

٩٧٥. على الدعاة أن يقوموا في دعوتهم بالحق والعدل، فلا يغرروا بالناس ولا يضللوا عليهم ولا يظلموا أحداً منهم.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

٩٧٦. من كذب على الله أو كذّب بآياته فلا يأمن من مكر الله، فقد يمهله الله تعالى لحكمة أرادها جَلَّ وَعَلَا، فعليه أن لا يأمن من مكر الله.

٩٧٧. الاستدراج من الله لمن كذّب بآياته قد يكون بإمهالهم وفتح المجال لهم وجعلهم أكثر أمناً من مكر الله وزيادة أتباعهم أو اتساع مساحة تأثيرهم وفي آخر المطاف وعلى أي أمر كانوا عليه يأخذهم الله تعالى من حيث لا يعلمون.

٩٧٨. على العبد أن يستشعر وهو على المعصية أو على المنكر أن الله قد يفجأه بأمر عظيم وعذاب أليم وهو على معصيته أو منكراته.

٩٧٩. من أهم وأقوى أسباب الثبات على الحق الخوف من الخاتمة السيئة.

❋❋❋

﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾.

٩٨٠. ومن عذاب المكذبين بآيات الله أنه يمنحهم مساحة من الوقت وطولاً في العمر وهو ما يسمى بالإملاء ليزدادوا كفراً وتكذيباً فيزيدهم الله عذاباً وتنكيلاً بعدله وقوته جَلَّ وَعَلَا.

٩٨١. كل مساحة في الوقت تعصي فيها الله أيها العبد هي عليك خزي وندامة في الدنيا والآخرة.

٩٨٢. حينما يصف الله كيده بالمتين فهذا دليل على عظم ما اقترفه المكذبين بآياته من منكر عظيم.

❋❋❋

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

٩٨٣. وصف الله تعالى نبيه محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هنا بالصاحب لقريش الذين كذبت به وبالآيات التي جاء بها إليهم من عند الله تعالى، والمعنى هنا صحبة القرابة والدم.

٩٨٤. وصفت قريش محمداً عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بأوصاف عديدة لا تليق به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومنها أنه مجنون، علماً أن قريش تدرك تماماً كمال عقله ورجاحة فكره وحسن خلقه وأخلاقه.

٩٨٥. من جهل كفار قريش أنهم لم يتفكروا في مقصود رسالة محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأن في مضمونها التحذير والإنذار لهم من عذاب أليم، بل إنهم زادوا على ذلك أن وصفوه بالجنون وهم يسمعون منه تلك الآيات.

٩٨٦. على الداعية إلى الله تعالى أن يتوقع الاتهامات الباطلة والقذف القبيح من بعض الناس وأن يتعامل معها التعامل الحكيم والمشروع.

❊❊❊

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

٩٨٧. من أعظم ثمرات التدبر في آيات الله القرآنية والكونية:

- ❊ الثبات على الحق واتباع طريقه.
- ❊ تحقيق التوحيد لله تعالى بالعبادة.
- ❊ الاستعداد للموت ونهاية الأجل.

٩٨٨. الذي يكذب بآيات الله لا يتدبرها ولا يعي سبب خلقها ولو فعلوا ذلك

لعادوا إلى ربهم مؤمنين به وبآياته.

٩٨٩. ذكر الله هنا السموات والأرض على وجه الخصوص عن بقية آياته لكبرهما وعظمتهما، أو لكونهما أمام أنظار المخلوقين بشكل دائم، أو أن من ينظر إليها فهو سينظر تلقائياً إلى ما بينهما من آيات عظمى كالشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحاب والجبال والبحار وغيرها.

٩٩٠. أو لم ينظر هؤلاء إلى آيات الله العظيمة فيعلموا أن الواحد الأحد والخالق الرازق فيوحدّوه ويخلصوا له العبادة ويتبرأوا من كل معبود غيره؟!

٩٩١. لقد بيّن الله طريق الإيمان وأرسل بذلك الرسل وأنزل الآيات البيّنات فكيف لكم أن تكذبون بكل ذلك وتصدّون عن سبيله وتؤمنون بغيره؟! إن ذلك والله لهو الخسران العظيم.

❋❋❋

﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦ ﴾.

٩٩٢. يبين الله تعالى للضالين المكذبين عاقبتين عظيمتين:

- ❋ الحرمان من الهداية.
- ❋ تركهم في تيههم وحيرتهم وشكوكهم.

٩٩٣. من نعم الله تعالى على العبد أن يهدِيَه إلى الصراط المستقيم.

٩٩٤. العيش في دوائر التيه والحيرة حياة ثقيلة لا تستقيم فيها الأمور ولا تهدأ فيها القلوب، ومن حاد عن طريق الله عاش تلك الحياة الثقيلة.

❋❋❋

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

٩٩٥. أي يسألونك يا محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الساعة التي تنذرهم بها وتحذرهم من قربها، ولعل في سؤالهم هذا تكذيب له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ واستهانة بأمر الساعة، ولا شك أن هذا ديدن المكذبين الضالين.

٩٩٦. الساعة أحد أسماء يوم القيامة كيوم الطامة والصاخة والدين والحق والتغابن وغيرها.

٩٩٧. الساعة علمها عند الله تعالى وحسب ولا يعلم بموعدها إلا هو جَلَّ وَعَلَا.

٩٩٨. الساعة أمرها ثقيل على السماوات والأرض ومن فيهن إما لثقل مجيئها أو لثقل ما تتضمنه من أحداث عظيمة وجسيمة.

٩٩٩. الساعة إذا أتت تأتي بغتة وفجأة دون سابق إنذار وهذا يبيّن خطر مجيئها على الناس.

١٠٠٠. أخبار وأحداث قيام الساعة جاء كثير منها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية لأمور منها:

* لبيان قدرة الله وعظمته.
* لكي يعرف العبد مصير أمره ومآل حياته.
* حتى يستعد العبد لها حق الاستعداد.
* معرفة أحوال المؤمنين الطائعين والكفار العاصين.

١٠٠١. قيام الساعة من الأمور الغيبية التي لا يعلم بها إلا الله ويجب الإيمان والتصديق بها.

١٠٠٢. المشركون يسألون محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن الساعة وكأن لديه علم عن موعد مجيئها أو أن الله اختصّه بشيء من ذلك فيأتي الرد مباشرة والذي ينفي هذا الادعاء بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

١٠٠٣. قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾[1] وقال ﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وفي هذا إثبات صفات العلم والربوبية والألوهية لله تعالى.

١٠٠٤. الساعة أمرها عظيم وواجب على كل مؤمن أن يستعد لها الاستعداد الذي يضمن بإذن الله تعالى أمنه عند خوف العالمين منها.

❊❊❊

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

١٠٠٥. محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وهذا الأمر لله جَلَّ وَعَلَا فقط، فهو لا يعلم عن كسبه ولا رزقه ولا مستقبله شيئاً إلا ما شاء الله غير ذلك.

١٠٠٦. في الآية رد على أولئك الذين غلوا في محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأنزلوه منزلة فوق منزلته، فجعلوه النافع الضار وغيرها من الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

١٠٠٧. محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ينفي عن نفسه علم الغيب وأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، ويبيّن ذلك بأنه لو كان يعلم الغيب لتحرى مواطن الخير وبادرها واستفاد منها ولتحرّى مواطن الشر والسوء فتجنبها وابتعد عنها، لكنه لا يستطيع ذلك.

(١) [سورة طه: آية ٥٢].

١٠٠٨. يبيّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنّ وظيفته الحقيقية هي أنّه يبشر المؤمنين الطائعين بجنّة عرضها السموات والأرض، وينذر الكافرين العاصين بنار تلظّى.

❊❊❊

﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾.

١٠٠٩. على المؤمن أن يستشعر بادئ أمره وأول خلقه وأنه من نسل آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأن آدم من تراب، وهذا يرفع عنه صفة الكبر والغرور والفوقية.

١٠١٠. خلق الله حواء من ضلع آدم وحصلت بينهما المؤانسة والسكن فتزوج آدم حواء وبدأت من ذلك الزواج قضية النسل والذرية، فسبحان من خلق وقضى وقدر.

١٠١١. من معاني السكن الزوجة الصالحة، فمتى ما أكرم الله الرجل بزوجة مؤمنة صالحة تحقق له السكن والاطمئنان في حياته الزوجية والأسرية، ومن هنا يتعيّن على كل من يبحث على زوجة أن يسأل عن تقواها وصلاحها «فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ»[1].

١٠١٢. في الآية بيان لما تعانيه الأم وهي حامل بولد، فإنها تتعرض لآلام الحمل والوحم والضيق والتعب بسبب هذا الولد، ومن ثم الآم الوضع والنفاس والرضاعة والتربية وغيرها، لذا فالأم أولى بالبر والطاعة والاهتمام.

١٠١٣. مشروعية دعاء الآباء للأبناء وهم لا زالوا أجنة في بطون أمهاتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

١٠١٤. أعظم ما يدعو الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم أن ينعم الله عليهم بنعمة الهداية والصلاح، وهذا الأمر قد فعله الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

١٠١٥. النعمة يقابلها شكر مُنعمها، ومن نعم الله على عبده أن يرزقه ولداً صالحاً فكان الشكر على هذه النعمة الجليلة واجب شرعي.

❋❋❋

﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

١٠١٦. لقد استجاب الله لدعاء آدم وحواء عليهما السلام بأن رزقهما الله ولداً صالحاً، وهذا فضل من الله تعالى ومنّة.

١٠١٧. الذي رزق الزوجين الأبناء هو الله جَلَّ وَعَلَا ومن غير اللائق أن يتوجه الشكر أو الثناء أو العبادة لغير الله تعالى.

١٠١٨. آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يشرك هنا لأنه معصوم من الشرك ولكنه كما ورد أنه سمى ابنه بعبد الحارث فحصل الشرك في الاسم.

❋❋❋

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾.

١٠١٩. سؤال تعجّب وإنكار في نفس الوقت، كيف تشركون من ليس بيده شيء ولا يقدّم ولا يؤخر ولا يحي ولا يميت ولا يخلق ولا يرزق بالله جَلَّ وَعَلَا الذي خلقكم وخلقهم.

١٠٢٠. هذا السؤال يوجه لكل عباد الحجر والشجر والبقر والنجوم والكواكب والأموات والأضرحة، وكذلك لكل من تعلّق قلبه بالدنيا والأموال

والأولاد والمناصب وقدّمها على عبادة الله وجعل حبها أولى من حبه وطاعتها واتباعها أسبق من طاعته واتباعه. أتشركون بالله ما لا يخلق شيئًا؟

❊❊❊

﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

١٠٢١. لا قوة لمن أشركتموه في العبادة مع الله تعالى فينصركم من دون الله.

١٠٢٢. لا ناصر إلا الله.

١٠٢٣. الأصنام والأوثان وغيرها من المعبودات هي لا تستطيع أساسًا أن تنصر نفسها فلماذا اتخذتموها آلهة من دون الله تعبدونها؟!

❊❊❊

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

١٠٢٤. لن يستجيب المشركون لدعوة المؤمنين وهو ينادونهم للهدى، وكذلك الأصنام التي أشركوا بها لن تستجيب لدعاة الحق لأنها في الأساس لا تسمع ولا تعي.

❊❊❊

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾.

١٠٢٥. كل ما عبد من دون الله تعالى فهو مخلوق لا ينفع ولا يضر، وهذه حقيقة لابد من تكرارها وتعليم الناس بها.

١٠٢٦. كم من شخص تعلّق بغير الله فلما التجأ إليه خذله وأهانه.

١٠٢٧. هذا تحدّي من الله تعالى لمن يعبد غيره، ادعوهم وارقبوا، هل سيستجيبون لكم أم لا، مع أن الإجابة معلومة عندهم لكنه الكفر والتكذيب الذي تشرّب في عقولهم وقلوبهم.

❋❋❋

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

١٠٢٨. تحدي آخر من الله تعالى لأولئك الذين يعبدون الأصنام والأوثان من دونه تعالى، وفائدته حتى يعلم المخاطبون حقيقة سفههم ونقص عقولهم وقلة أدبهم مع خالقهم.

١٠٢٩. إذا كان ما تعبدون لهم جوارح تستعينون بها في أموركم فيمكن تصوّر هذا مع أنه في أساسه شرك أكبر، فكيف تشركون مع الله من لا يستطيع أن يبطش بيديه ولا يمشي على رجليه ولا يرى بعينيه ولا يسمع بأذنيه.

١٠٣٠. حتى وإن عظم المعبود من دون الله بأي أمر كان، فيبقى لا شي أمام قدرة الله وعظمته وإحاطته وملكوته، فهو المعبود الحق عَزَّوَجَلَّ.

❋❋❋

﴿ إِنَّ وَلِيِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾.

١٠٣١. من فضائل الإيمان أن المؤمن ينال ولاية الله، ومن كان الله وليّه فلا خوف عليه مطلقاً.

١٠٣٢. ولاية الله للمؤمنين ذكرت في القرآن الكريم في مواضع عدة كقوله تعالى

﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ... ﴾[2] وهذا يعين المؤمن على تقوية إيمانه بربه واعتصامه بدينه.

١٠٣٣. الكتاب هو القرآن الكريم الذي فيه البيان الحقيقي للإيمان والمنهج الحق للمؤمن.

١٠٣٤. من وسائل تقوية الإيمان في القلوب قراءة القرآن الكريم تلاوة وتدبراً وعلماً وعملاً.

١٠٣٥. في الآية بيان لأهمية صلاح المؤمن، لأن صلاحه سبب أيضاً في ولاية الله له.

❊❊❊

﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾.

١٠٣٦. بيان آخر من الله تعالى لكل من عبد غيره ودعا سواه إن ما يُعبد من دونه ليس بمقدوره عونكم ولا نصركم إذا احتجتم منهم العون والنصرة، فأنتم ضعفاء في الأصل لأنكم بشر وما تدعون أيضاً ضعفاء لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً فكيف لهم أن ينصرونكم وهم على هذا الحال من الضعف والهوان.

١٠٣٧. من أسباب عزة المؤمن أن الله ناصره ومعينه وحافظه.

❊❊❊

(١) [سورة البقرة: آية ٢٥٧].

(٢) [سورة المائدة: آية ٥٥].

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾.

١٠٣٨. الأصنام والأوثان لا حياة لها فبالتالي هي لا تسمع ولا تبصر إذا فلا فائدة من دعوتها للهدى.

١٠٣٩. صوّر الله حال هذه الأصنام والأوثان من أنها تنظر بأعينها التي صنعها أصحابها ولكنها لا تبصر لكونها جماد وما في داخلها خواء.

❊❊❊

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

١٠٤٠. هذه الآية تعتبر من أهم القواعد القرآنية التربوية على الإطلاق، فهي تجمع ما بين العفو عن الناس وأمرهم بالمعروف والحق والإعراض عن الجاهلين منهم.

١٠٤١. العفو عن الناس خلق عظيم ومنقبة فريدة لا يتحلّى بها إلا الروّاد والقدوات في مجتمعاتهم، فالله تعالى هو العفو ويحب العفو، وكان من دعاء الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «اللَّهمَّ إنَّك عفُوٌّ تُحبُّ العفوَ فاعْفُ عنِّي»(١).

١٠٤٢. من العفو أن يعفو الإنسان عمّن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويحسن إلى من أساء له.

١٠٤٣. الأمر بالمعروف عبادة فاضلة وهي من محاسن الإسلام وركائزه المجتمعية المهمة ويقترن به النهي عن المنكر.

١٠٤٤. أمر المؤمن لغيره بالمعروف دليل على إيمانه الحق بربه واتباعه الصحيح

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في (السنن الكبرى) (٧٧١٢)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، وأحمد (٢٥٣٨٤) باختلاف يسير.

لنبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحبه الصادق لأسرته ومجتمعه وأمته.

١٠٤٥. الإعراض عن الجاهلين، الجهل هنا قد يكون الذي ضد العلم، بمعنى أعرض عن مناوشات قليلي العلم أو حماسهم الغير منضبط أو تكبّرهم على أساتذتهم ومشايخهم، وقد يكون الجهل هنا السفه والطيش أي أعرض عن كل سفيه وأحمق وطائش خاصة إذا حصل منه تعدّي أو تجاوز، وسواء كان معنى الجهل الأول أو الثاني فالمطلوب الإعراض عنهما قدر الإمكان.

١٠٤٦. في الأخذ بهذه الأوامر الربانية التربوية أمان روحي واطمئنان، والأخذ بها يقلّل العداوات وينمّي الأخلاق الكريمة بين أبناء المجتمع الواحد.

❊❊❊

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾.

١٠٤٧. النزغ خطوة من خطوات الشيطان، وهو أن يدفعك للتفكير أو القول أو الفعل السيء والمحرم.

١٠٤٨. من شدة خطورة الشيطان الرجيم وأنه قرين للعبد أمر الله تعالى بأن يستعاذ منه ومن شره.

١٠٤٩. الله يسمع استعاذة عبده من الشيطان وهو العليم جَلَّ وَعَلَا بنزغه له.

١٠٥٠. من أعظم ما يحصّن به العبد نفسه من الشيطان الرجيم أن يستعيذ منه، خاصة عند الخوف والهم والغضب وغيرها.

❊❊❊

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾.

١٠٥١. من ثمرات التقوى أنها تذكر صاحبها بالله حين حصول البلاء أو الهم أو الفتن بأنواعها.

١٠٥٢. المسّ خطوة من خطوات الشيطان، وهو الخاطر السريع أو الفكرة القادحة والتي تؤثر سلباً على صاحبها.

١٠٥٣. التذكّر هنا قد يكون من داخل الإنسان كتذكره بأن الله يراقبه أو خوفه من عذابه أو محبة له أو كراهية في ما مسّه الشيطان به، وقد يكون من خارجه كموعظة صاحب أو موقف مؤثر شاهده أو غير ذلك.

١٠٥٤. كن حي البصر والبصيرة، فالأول ترى من خلاله الشهوات فتجتنبها، والثاني ترى من خلاله الشبهات فتجتنبها.

❋❋❋

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾.

١٠٥٥. من خطوات الشيطان المدّ، أي يمدّ أعوانه وأتباعه بما يدعو إليه من الغي والفساد.

١٠٥٦. وراء كل غيٍّ وفساد شيطان وأخ له من الإنس يعينه.

١٠٥٧. إخوان الشيطان هم شركاءه في كل فساد وغي، فعليهم وزر ذلك الفساد إذا عملوه.

١٠٥٨. متى ما مدّ الشيطان إخوانه بالغيّ فهم لا يقصرون في عمله ونشره وهذا من جهلهم وتأثير الشيطان عليهم.

❋❋❋

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾.

١٠٥٩. من أساليب المشركين مع محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه إذا لم يأتي بآية قالوا لماذا لا تختلق لك آية وتأتي بها، في زعمهم أن ما يأتي به إنما هو من عنده، وكذبوا إنما هي من عند الله جَلَّ وَعَلَا.

١٠٦٠. ما جاء به محمد عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من آيات إنما هي من عند الله تعالى سواء القرآن الكريم أو ما جاء عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أحاديث شريفة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[1].

١٠٦١. بصائر جاءت بهذا اللفظ خمس مرات في القرآن الكريم وهي تعني البراهين والأدلة المحمّلة بالهدى والرحمة من عند الله تعالى لأهل الإيمان من عباده.

❋❋❋

﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾.

١٠٦٢. قاعدة ربانية في التعامل مع القرآن الكريم حال سماعه سواء خلف الإمام أو حتى خارج الصلاة، فقد أمر الله عباده أمراً عاماً بسماع القرآن الكريم أي إلقاء السمع للقارئ وعدم الانشغال بأي شي حال السماع، والإنصات أي بخشوع وتدبر وتأمل في ما يتلى.

١٠٦٣. من موجبات رحمة الله للعبد سماعه للقرآن الكريم والإنصات إليه.

❋❋❋

(١) [سورة النجم: الآيات ٢-٣].

﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾.

١٠٦٤. ذكر الله تعالى من أجل العبادات وأعظمها عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي دليل تعظيم العبد لربه وإجلاله له وإيمانه به.

١٠٦٥. من أنواع الذكر أن يذكر العبد ربه في نفسه فيتضرع له ويخبت له ويقبل عليه ويرجو رحمته ويخاف عذابه كل هذه الأمور تنطلق من نفس المؤمن بصدق وإخلاص.

١٠٦٦. المؤمن الحق هو الذي لا يركن إلى عمله ولا يعتمد على عبادته، بل يتوجه الله بمحبته والإخلاص له والصدق معه والاستعانة به ثم يبدأ بالعمل الصالح ويداوم عليه مع رجاءه لربه أن يقبل منه وخوفه منه أن لا يقبل منه فهو بين هذين الأمرين.

١٠٦٧. لا تجاهر بقولك وأنت تذكر الله أو تدعوه فهو يعلم ما في قلبك ويسمع قولك ويعلم مقصدك وبغيتك.

١٠٦٨. ذكر الله تعالى في كل وقت وحين، لكن أفضلها ما بيّنه الله تعالى في الآية وهما وقتا الغداة أي أول النهار والآصال أي آخر النهار.

❊❊❊

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ٢٠٦﴾.

١٠٦٩. الذين عند الله هم ملائكته، لأنهم على قرب منه جَلَّ وَعَلَا، وهم منفذوا أوامره سبحانه، ولما لهم من أفضلية ومكانة عزيزة عنده جَلَّ وَعَلَا.

١٠٧٠. وصف الله ملائكته في الآية بما يلي:

* أنهم عنده قريبين منه.

* أنهم لا يستكبرون عن عبادته.
* أنهم أهل تسبيح لربهم على الدوام.
* أنهم يسجدون لربهم عَزَّوَجَلَّ.

١٠٧١. في الآية ذم للاستكبار عن عبادة الله.

١٠٧٢. في الآية بيان فضل التسبيح لله تعالى والسجود له.

١٠٧٣. يشرع للمؤمن وهو يقرأ هذه الآية أن يسجد لله تعالى سجود تلاوة، وهذا هو أول موضع سجود تلاوة في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

❊❊❊